ملخَّص البحث

في هذا البحث الذي كان عنوانه (المعجم الشِّعري في شِعر المؤيَّد في الدِّين الشيرازي – (داعي الدُّعاة))، اتَّبعت فيه الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع الظواهر الفنية ورصدها وتحليلها ومحاولة الوقوف على مكامن الإبداع فيها، ومن أهداف هذه الدراسة إبراز مكامن الإبداع اللغوي في شعر المؤيد في الدين، ودفع هذا الجيل والأجيال القادمة على امتداد رقعة الوطن العربي الكبير إلى الرجوع لدراسة تراث الماضي، والانكباب على دراسة الموروث الأدبي، والتصدّي لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بسلاح الشعر القوي، الذي ترك في نفوس المتلقين سواءً العامَّةِ منهم أو الخاصَّة، على امتداد العصور، واختلاف الأزمنة والأمكنة الكثير. وكانت خطة البحث عبارة عن تمهيد عرَّفت فيه بالشاعر (المؤيد في الدين)، والمعجم الشعري للشاعر الذي جاء شاملاً لعدِّة حقول دلاليَّة ولفظيَّة تناولها الشاعر ومنها: (الحديث عن العقيدة الفاطمية، وذِكر اسمه أو لقبه أو كنيته، والألفاظ الفارسيَّة، ورغد العيش واعتزازه بشيعيته، والغربة والاغتراب، والشَّكوى والاضطهاد والنُّفور، ومديح الإمام المستنصر بالله، وذِكر أسماء أنبياء الله عليهم السلام كآدم، وإبراهيم، وغيرهم). واستُخلِصَت النتائج التالية: حرص الشَّاعر على تَنَوُّع لُغتهِ الشِّعريَّة التي أظهرَت مدى ثقافته وثراء لغته، وكذلك التَّوجُّه الدِّيني والتَّشيُّع لأهل البيت كان ظاهرًا بشكلٍ كبير في شِعر المؤيَّد، وثقافة الشَّاعِر وعلومه المختلفة ظهر صداها جليًّا في ديوانه، فقد كان سجلًّا حافِلًا لكثيرٍ من العُلُوم والمعارف التي تميّز بها المؤيَّد، كما ضمَّن الشَّاعر عددًا من الكلمات الأعجميَّة نابعةً من لغته الأم (الفارسيَّة) في ثنايا شِعرِهِ.

كلمات مفتاحية : المعجم . الشعري . ديوان . المؤيد . الشيرازي . الدعاة .

Abstract:
In this research entitled ‘Poetic diction in the Poetry of Al-Mu’ayyad fi Al-Din Al-Shirazi (The Grand Preacher),’ the researcher adopts the descriptive and analytical approach based on tracking, monitoring and analyzing artistic phenomena and trying to identify the sources of creativity therein. One of the objectives of this study is to highlight the sources of linguistic creativity in the poetry of Al-Mu'ayyad fi al-Din. It aims to further motivate this generation and the coming generations across the vast area of the Arab world to delve into the study of the historical heritage, engage in the exploration of literary traditions, and confront the enemies of Allah and His Messenger, may peace be upon him, with the powerful weapon of poetry, which has left a great effect on the hearts of its recipients, be among the average public or the more specialized audience, throughout various ages, times, and locations. The research plan comprises a preface that introduces the poet (Al-Mu'ayyad fi Al-Din) and the poetic diction of the poet, which comprehensively covered several semantic and linguistic fields addressed by the poet. These fields include: talking about the Fatimid doctrine; mentioning the poet's name, surname, or epithet, Persian expressions, the comfort of living and his pride in his Shiism; expatriation and alienation; grievances, persecution, and aversion; praising the Imam al-Mustansir bi Allah; and mentioning the names of Allah's prophets, such as Adam, Ibrahim, and others. The following results are concluded: The poet demonstrates a keen commitment to the diversity of his poetic language that reflected the extent of his cultural depth and linguistic richness. A strong religious and Shiite inclination towards the household of the Prophet is quite evident in Al-Mu'ayyad's poetry. The poet’s culture and various fields of knowledge resonate prominently in his poetic collection, which serves as a comprehensive record of the numerous sciences and knowledge by which Al-Mu'ayyad was characterized. Furthermore, the poet incorporates several foreign words derived from his native language, i.e. Persian, within the fabric of his poetry.
Keywords: Poetic diction, Poetry collection, Al-Mu’ayyad, Al-Shirazi, Callers.

المقدمة

تُعدُّ دراسة المعجم الشِّعريّ لشاعرٍ ما عاملاً مهما في تحليل بنية نصِّه الشعريّ، كما أنها تكشف عن العلاقة القائمة بين تجربة الشاعر ومعالم الصورة التي أوضحت جزءًا كبيرًا من إحساسه، ومعلومٌ أنَّ لكلِّ شاعرٍ معجمه الشعري الخاصّ به الذي تتحدّد من خلاله هويَّتهُ وبيئته وغير ذلك.

لكل أديبٍ معجمه الخاصّ به، وبحسب ما جاء من رؤى وآراء في الدراسات النقدية المتخصصة، تؤكد تلك الدراسات أن المعجم بمثابة روح النَّص الإبداعي، فالأسلوب هو الكاتب، والمعجم هو الشاعر، ومن ثمَّ فعند النظر إلى إبداع المبدع فلا بد من التعرف على مراده من وراء إلحاحه على مفردات وكلمات بعينها، والسر من وراء ترديدها في عمله، ومدى تعبيرها عن نفسه وشرح ذاته، ومدى توافقها مع رؤيته لموضوع النصوص التي يتناولها، فالأمر يحتاج إلى متابعة وتدبُّر.

أهمية البحث:

إنَّ شِعريَّة الشَّاعر وإبداع المبدع تُقَاس بما يضمُّه معجمه من ألفاظٍ وتراكيب، فوفرتها دليل كثرة اطِّلاع واتِّساع ثقافة، وهي معين له على أداء العملية الشعرية؛ لإخراج قصيدته على الناحية التعبيرية التي تشرح ذاته وتواكب مشاعره وعواطفه "فالمعجم هو لُحْمَة أيّ نصّ أدبي وسواه، فهو بمثابة المخزون اللُّغويّ الكامن في حافظة المبدع"(١)، ولقد وظَّف الناقد العربي القديم أهمية تشبُّع المبدع بألفاظ وتراكيب اللغة المتعددة، التي تنبع من ذاته، وتعبِّر عن الواقع الذي يعيش، يقول الجاحظ: "ولكلِّ قومٍ ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغٍ في الأرض وصاحب كلام منثور وكلُّ شاعرٍ في الأرض، وصاحب كلام موزون، فلابد من أن يكون قد لهج وأَلِفَ ألفاظا بأعيانها؛ ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم كان غزير المعاني كثير اللَّفظ"(٢).

إنَّ للمعجم الشعري دورًا مهمًّا في اتِّساع أفق رؤية الشاعر في اختيار مفرداته اللُّغويَّة، فتكون ساحة الألفاظ والمفردات سماء مفتوحة تتيح للمبدع النظر في رحابة إلى اختيار الأوفق والأنسب والمعبِّر عمَّا يعتريه من رؤىً وأفكار، وما يريد أن يثبت ويؤصِّل في نفس المتلقي من وراء تلك التعبيرات.

منهج البحث: المنهج الوصفي التَّحليلي.

خطَّة البحث: قُسِّم هذا البحث إلى تمهيد عرَّفت فيه بالشاعر (المؤيد في الدين)، والمعجم الشعري للشاعر الذي جاء شاملاً لعدِّة حقول دلاليَّة ولفظيَّة تناولها الشاعر ومنها: (الحديث عن العقيدة

---

(١) محمد صلاح أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش – دراسة أسلوبية، ط الأولى، غزَّة، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ. ص٦١.

(٢) الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٦٩م. ٣/٣٦٦.

الفاطمية، وذِكر اسمه أو لقبه أو كنيته، والألفاظ الفارسيَّة، ورغد العيش واعتزازه بشيعيته، والغربة والاغتراب، والشَّكوى والاضطهاد والنُّفور، ومديح الإمام المستنصر بالله، وذِكر أسماء أنبياء الله عليهم السلام كآدم، وإبراهيم، وغيرهم).

الدراسات السابقة:

رسالة ماجستير للباحثة العراقية (حوراء هادي كاظم محيسن العمري) في جامعة كربلاء، كلية التربية ٢٠١١م، بعنوان: "شِعر داعي الدُّعاة المُؤيَّد في الدِّين (ت: ٤٧٠هـ) – دراسة في الموضوع والفنّ".

تمهيد:

التعريف بالشاعر (المؤيَّد في الدِّين):

كان المؤيَّد في الدين الشيرازي من الشخصيات الموهوبة والأكثر تميزاً في الدعوة الإسماعيلية في ظلِّ الفاطميين. وقد أمضى معظم سنِيّ حياته في خدمة الإمام – الخليفة (المستنصر بالله)[١] حوالي ٤٢٧– ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦– ١٠٩٤م زمن قمة مجد السلطة الفاطمية في القرن الخامس – الحادي عشر يعمل داعياً بصفات متنوعة –إدارية ودبلوماسية وعسكرية ودينية– الأمر الذي أوصله بالنتيجة إلى أعلى رتبة في الدعوة الفاطمية، وهي داعي الدعاة[٢].

اسمُه ولقبُه:

اسمه: (هبةُ الله) كما ورد ذلك مرَّاتٍ عديدة في ديوانه، يقول [الخفيف]:[٣]

هِبَةُ اللهِ فِي بُحُور نَدَاكُمْ لا غَرِيقٌ لَكِنَّهُ عَوَّامُ

وأمَّا لقبه: هو (المؤيَّد في الدِّين)، ذُكِرَ ذلك في الخطاب الذي أرسله إليه أبو كاليجار البويهي إذ ورد فيه "العنوان لشيخنا وظهرنا ومعتمدنا المؤيَّد في الدِّين، عصمة أمير المؤمنين، أبي نصر، أطال الله بقاءه"[٤].

يورد الزِّرِكليّ في أعلامه ما نصُّه: "المؤيَّد في الدين (.. – ٤٧٠هـ = .. – ١٠٧٨م) (هبة الله بن موسى بن داود الشِّيرازي السَّلمانِي)، (أبو النَّصر)، (المؤيَّد في الدِّين)، (داعي الدُّعاة): من زُعماء

---

(١) الخليفة الفاطمي المستنصر بالله: هو أبو تميم معد بن الظاهر المعروف بالمستنصر بالله بن علي الظاهر لإعزاز دين الله وهو الخليفة الفاطمي الثامن والإمام الثامن عشر في سلسلة أئمة الشيعة الإسماعيلية. كانت الدولة الفاطمية حين اعتلى عرشها قد استقرت تمامًا، واتسعت اتساعًا هائلاً، وبلغت دعوتها الشيعية أقصى مدى لها في الذُّيوع والانتشار، وامتلأت خزائنها بالأموال. غير أن وقوعها في أيدي المغامرين والطامحين، واشتعال الفتن والثورات بين فرق الجيش، والتنافس على الجاه والسلطان أضاع منها كل شيء. واختُزلت الدولة التي كانت تمتد من أقصى المحيط الأطلسي إلى الفرات في مصر فقط. وبعد أن كانت ترفل في غناها وثرائها وكثرة خيراتها أصبح يعلوها الذبول والشحوب بفعل المجاعات التي أصابتها. هذا التحول من السعة إلى الضيق ومن الغنى إلى الفقر هو ما شهده عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي.

(٢) فيرينا كليم: مذكرات رسالة (العالم ورجل الدولة والشاعر المؤيَّد في الدِّين الشِّيرازي)، تحقيق وترجمة: شارل شهوان، دار الساقي للطباعة والنَّشر، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٥م. ص١٤٥.

(٣) المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة: ديوان المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط الأولى، ١٩٤٩م. ص٢٣٥.

(٤) محمد كامل حسين: سيرة المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة ترجمة حياته بقلمهِ، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط الأولى، أكتوبر ١٩٤٩م. ص٧٦.

الإسماعيلية وكتَّابِها. وُلِدَ وتعلَّم بشيراز. وكان لأبيه، ثم له القيام بدعوة الفاطميين فيها. واضطُّر إلى مغادرتها، فخرج متنكرًا إلى الأهواز سنة (٤٣٦هـ). وأقام مدة في حلّة منصور. وتوجَّه إلى مصر، فخدم المستنصر الفاطمي، في ديوان الإنشاء، وتقدَّم إلى أن صار إليه أمر الدَّعوة الفاطميَّة سنة (٤٥٠هـ) ولُقِّبَ بداعي الدعاة وباب الأبواب. ثم نُحِّيَ وأُبْعِدَ إلى الشَّام. وعاد إلى مصر فتُوفِّيَ فيها، عن نحو ثمانين عامًا، وصلَّى عليه المستنصر..... وله تصانيف، منها "المرشد إلى أدب الإسماعيلية – ط" و"المجالس المؤيَّدية – ط" جزآن، و"السيرة المؤيَّدية – ط" باسم "سيرة المؤيَّد في الدين داعي الدعاة" وفيها كثير من أخباره، ومجموعة أشعاره "ديوان المؤيَّد في الدين – ط". وله بالفارسية "أساس التأويل" ترجمه عن العربية، وأصله للقاضي النعمان"[١].

ويُعَدُّ داعي الدُّعاة المؤيَّد في الدِّين هبة الله الشِّيرازي أحد الشَّخصيات البارزة في تاريخ الدَّولة الفاطميَّة، سواءً كان على صعيد الدَّعوة، فقد عَمِل على نشر مذهب الفاطميَّة الإسماعيلية في أنحاء كثيرة من مناطق العالم الإسلامي من خلال سفرياته ورحلاته إلى تلك البلدان، أو على الصَّعيد السِّياسي إذِ استطاع أن يجعل

الخُطَباء يقفون على منابر بغداد ويدعون للخليفة الفاطميّ، ويخطبون باسمه، أو على صعيد الشِّعر فقد كان من أعظمِ وأشهر شعراء تلك الحقبة الزمنيَّة.

اتَّصل المؤيَّد في الدِّين ببعض رجالات الدعوة الكِبار، يقول محمد كامل حسين: "ولَعَلَّ المؤيَّد اتَّصل ببعض كبار رجال الدَّعوة في عصره وأخذ عنهم، ورُبَّما اتصل بأحمد حميد الدين الكرماني[٢] الذي لُقِّب بحُجَّة العراقَيْن، والذي يُعدُّ من أكبر فلاسفة المذهب وعلمائه، فقد شاهد المؤيَّد في صباه السَّنوات الأخيرة من حياة الكرماني، فرُبَّما اتَّصل به وأخذ عنه شيئاً من العلوم التي أهَّلته لأن يبلغ

---

(١) الزِّرِكلي (ت: ١٣٩٦هـ)، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م. ج٨ ص٧٥-٧٦.

(٢) حميد الدين الكَرْماني (٣٥٢ – ٤١٢ هـ) هو عالم وكاتب، ومن دعاة الإسماعيلية. هو حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني، ويلقب بحجة العراقين. ولد في القاهرة، ورحل إلى إيران سنة ٤٠٨ هـ ومن ثم استدعاه الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٩هـ إلى القاهرة للرد على حسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع.

من آثاره: كتاب «راحة العقل» ومجموعة رسائل تبلغ (١٣) رسالة أهمها الرسالة التاسعة وهي «مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين» والعاشرة واسمها «الواعظة» في الرد على الفرغاني الأجدع والحادية عشرة واسمها «الكافية في الرد على الهاروني الحسني». ينظر: الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ): الأعلام، ط الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م. ١٥٦/١.

ما بلغه من علوم الدَّعوة حتَّى وصف نفسه بقوله لــ (أسامة بن المستنصر بالله): وأنا شيخ هذه الدَّعوة ويدها ولسانها، ومن لا يماثلني أحدٌ فيها"[١].

مُؤلَّفاتِــهِ:

تعدَّدت مؤلَّفات المؤيَّد في الدِّين، وهذا دليل ثقافته، وتنوُّع خِبْرَاته، فأخرج لنا زاداً متعدِّد الأنواع، مختلف المذاق، ومنها: (المجالس المؤيَّديَّـة، وديوان المؤيَّد في الدِّين، والسِّيرة المؤيَّديـة، المجالس المستنصرية، وكتاب شرح المعاد، وكتاب الإيضاح والتَّبصير، وكتاب الابتداء والانتهاء، ورسالة تحريم اللُّحوم، والقصيدة الاسكندرانية، وتأويل الأرواح، ونهج العباد، والمسألة والجواب، وترجمة أساس التأويل إلى الفارسية)[٢].

(١) محمد كامل حسين: سيرة المؤيَّد في الدِّين. ص١٤.

(٢) غسَّان بركات: الفكر السياسي والاجتماعي للمؤيد في الدين الشيرازي، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٠١٢)، العدد (١١٧-١١٨)، ٣٠ يونيو ٢٠١٢م. ص١٦٨.

المعجم الشّعريّ الخاص بالمُؤيَّد في الدِّين (داعي الدُّعاة):

" فالكلمة في الشعر أكثر قيمة من تلك التي في نصوص اللغة العامة، وليس صعباً أن نلاحظ أنه كلما كان النص أكثر أناقة وصقلاً كانت الكلمة أكثر قيمة، وكانت دلالتها أرهب وأوسع، وكانت دلالتها أرحب وأوسع، وحين يتكون لدينا المعجم الشعري لهذه القصيدة أو تلك، فإنه يكون قد تَكَوَّن لدينا بالتالي وبصفة تقريبية تلك الدوائر التي تشكِّل نظرة الشاعر إلى الوجود"(١).

والشاعر لابدّ له أن يختار ألفاظه وِفْقَ نظامٍ يتَّفق وطبيعة المعاني التي يشير إليها، فليس أمر اختيار الألفاظ والمفردات قائمًا على أساس من العشوائية، وإنَّما هو أمرٌ دقيق يجب أن يتحلَّى فيه كاتب الخطاب الأدبي بمزيد من الدِّقَّة الانتقائيَّة للكلمات، فيضع الكلمة في مكانها الصحيح وِفْقَ معناها الموضوع لها، حتى تتلاءم الكلمة مع طبيعة الصورة التي تدخل ضمن إطارها ومع سياقية المعنى الذي يسعى لإيصاله(٢) "إن عين المبدع حين تقع على المفردة فإنما ترى فيها لوحة فنية، يحاول أن يجمع معها لوحات؛ لتصنع قصيدة ذات لوحات متعددة، وقد استطاع بمهاراته أن يجمعها في قالب فني فيصبح المتعدد واحدًا، وقد انصهر داخل جدران اللوحة، في نماذج للألوان، وحسن تنسيقها، فالشاعر يحرص على اختيار اللفظة الجميلة المنتقاة التي تكاد تقف وحدها لوحة شعرية قبل أن تحتل موقعها في القصيدة"(٣).

وعلى المبدع بعد أن يجمع المفردات المكونة للوحته الشعرية التي رآها في ذاتها نموذجا ومثالا أن يؤلِّف بينها، بحيث لا تمثِّل جُزُرًا صغيرة منفصلة في محيط قصيدته الشعرية الكبيرة، وواجبٌ عليه أن يوائم بينها، فهو يدرك أن المفردات التي تشيع في قطعة أدبية قد تكوِّن فيما بينها أنواعا من العلاقات التي لا تتوقَّف قيمتها على وظيفة كل كلمة مفردة في جملتها(٤).

فهذه الألفاظ سلسلة يجب أن يصلها بغيرها من وسائل إبداعه؛ لتخرج الصورة واضحة كاملة في ذهنه أولاً ثمَّ تتسرَّب إلى المتلقي الذي يشعر بما شعر به المبدع تجاه تلك الألفاظ، فهو بذلك يشاركه مواطن إحساسه، ومنابع إبداعه.

---

(١) يوري لوتمان: تحليل النص الشعري "بنية القصيدة"، ترجمة وتقديم: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م. ص١٢٥ – ١٢٦.

(٢) ينظر: محمد مندور: في الميزان الجديد، ط دار نهضة مصر للطباعة، ط الأولى، ٢٠٠٤ م. ص٤٠.

(٣) أحمد بسام الساعي: حركة الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٩٧٨م. ص١٩٥.

(٤) ينظر: شكري محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م. ص١٢١.

فالمبدع يدرك أنَّ تلك الألفاظ "تؤدِّي وظيفة دلالية تربط اللفظ بالمعنى، فاللَّفظ لا ينفصل عن المعنى والدلالة لا تنعزل عن اللفظ الدَّال، وبذلك فإن علم الدِّلالة موضوعه أيّ شيء أو كلُّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، هذه العلامات أو الرموز تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس كما قد تكوّن كلماتٍ وجملًا"(١).

وإذا دقَّقنا النظر في ديوان المؤيَّد في الدين فإنَّنا لنجد معجمه الشعريّ غايةً في الإبداع والتَّناسق، ويتبيَّن لنا منه مدى تعبيره عن نفسه، وشرح ذاته، وهل جاء متَّصلا بموضوعاته ومعبّرًا عن معانيها، والمصادر التي استقاها منه، وخصوصيَّة المصطلحات المُعجميَّة التي ذاعت وانتشرت في ديوانه، واتِّفاقها مع رؤيته التي أوجد بها جسرًا من التواصل بينه وبين متلقيه، وما يريد أن يثبت في نفسه من آراء، وما يبثُّه من أفكار، ولنعرف من خلاله أيضا مدى إخضاعه العلم للشِّعر ليُخرِج شعرًا راقيًا، قطعةً من نفسه، ولم يُخضع الشعر للعلم ليُخرِجَ متونًا خاليةً من العاطفة والإحساس، إنَّنا نجد تعدُّد هذا المعجم وتشعُّب موضوعاته، وتعبيره عن نفس صاحبه، وإذا نظرنا في معجم الشاعر أيضاً نجد أن معجمه قد كوَّن ألفاظًا تكرَّرت لأهداف تشرح فكرته ودعوته، وتُعبِّر عن ذاته، وأحيانًا أخرى قد تُكوِّن معاني مختلفة، يعبّر عن المعنى الواحد بألفاظٍ معجمية مختلفة، وغاياتٍ أراد لها أن تصل متلقيه، فيشاركه إبداعه ويشاطره شعوره، فكوَّن بهذا معجمين: الأوَّل للألفاظ والآخر للمعاني.

وقد أدَّت حياة الشاعر ومرورها بأطوار ثلاثة إلى الإفادة من هذا التقسيم في الحديث عن معجم الشاعر بقسميه، لنرى كيف وافقت المعاني مراحل حياته، وكيف عبَّرت عنها واستوعبتها.

وإذا نظرنا إلى الطَّور الأول من حياة الشاعر، فسنجده في (فارس) موطنه، فإذا كان المرء يعيش في موطنه ينال مراده، ويصل إلى هدفه وبغيته، فنرى غَلَبَة سمة الاستقرار في هذا الطور من حياته، وكان له عزته وكبرياؤه، يخشاه العامَّة والخاصَّة، فاعتزَّ بشيعيته وأحبَّه أبناء عشيرته وأتباعه، فقوي بهم، فكان شعره في تلك المرحلة صورة لهذه الحياة الرغدة والشخصية القوية، وقد صوَّر فيها نضاله ضد الأعداء بالسيف والكلمة: شعرًا ونثرًا، كما صوَّر المعاناة نتيجة توالي المصائب، لكنَّه قابلها بصدر رحب وقلب قوي، فكان شعره في تلك المرحلة صورة من صور الفخر الذاتي، شعرًا حماسيًّا فيه من روح القوة والعزم الكثير، وأوَّل ما نجد من المعاني التي عبر عنها الشاعر في معجمه.

(١) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مطبعة عالم القاهرة، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٩١م. ص٨٠٧.

(الحديث عن العقيدة الفاطمية)، يقول [الرجز][١]:

فَكَيْفَ شَرْعَ الأَنْبِيَاءِ نَدْفَعُ وَمَا لَنَا إِلَّا النَّبِيّ مَرْجِعُ
بِنُورِهِ فِي الدَّرَجَاتِ نَرْتَقِي وَبِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ نَلْتَقِي
يَا رَبِّ فَالْعَنْ جَاحِدِي الشَّرَائِعِ وَارِمِهِمْ بِأَفْجَعِ الفَجَائِع
وَالْعَنْ إِلَهِي مَنْ يَرَى الإِبَاحَة بَلَعْنَةٍ فَاضِحَةٍ مُجْتَاحَة
وَالْعَنْ إِلَهِي غَالِيًا وَقَالِيًا ولا تذَرْ في الأَرْض مِنّهُم باقيا

فعقيدة الشاعر عقيدة أوليائه، فإذا لاكت الألسنة الفاطميين بدفع نبوَّة محمَّد وادِّعاء النُّبُوَّة بعده من قِبَل البعض، فإنَّ الشَّاعر يوضِّح حقيقة مذهبهم، حيث يلعن من قال بهذا وانتحله على الفاطميين، فكيف لهم القول بذلك، والرسول فخرهم الذي ألبسهم الله ثيابه، وبه عَلَوا على الأمم، فكيف لهم أن يدفعوا بنبوته أو ينكروا فضله، فإذا كانوا يدَّعون البراءة من شريعته، فمن ذا الذي يدعو إلى الاعتصام بها؟

لقد كان المؤيَّد حريصًا على "ألا يتَّهم الناس مذهبه إذا سمعوا منه ما سمعوه من ابن هانئ فكفَّروه قبل أن يُدركوا تأويله، ولذلك لم يأت المؤيَّد في ديوانه بوصف للإمام من أسماء الله كما فعل ابن هانئ، بل كان يصف الإمام بصفات العقل الأول التي لا يستطيع أن يفهمها على حقيقتها إلا الفاطميُّون، وإذا قرأها غير الفاطميين لا يجدون في قوله ما يدعو إلى رميه بما رُمِيَ به ابن هانئ، فمن هذه الناحية ظهرت حكمة المؤيَّد وبُعد نظره، فقد جمع ما أراده من مدح إمامه وبين البُعد عن إثارة الظنون والشبهات حوله وحول مذهبه كتلك التي أثارها ابن هانئ"[٢].

وحتى لا تُتَّهم العقيدة الفاطمية بالشرك، إذ أُشرِكَ الممدوح مع الله في صفاته، نرى المؤيَّد ينسِب كلَّ ما في صفات الجمال والجلال لممدوحه على أنها مستمدة من صفات الله، فهو وليُّ رسول الله وخليفته، وليس مشاركًا لله في تلك الصفات. يقول [الرجز][٣]:

مِنْ نُورِ رَبِّي خُلِقُوا طَابُوا وَطَابَ الخَلْق

(١) المؤيَّد في الدِّين: الديوان. ص١٩٧.
(٢) المؤيَّد في الدِّين: الديوان. ص١٦.
(٣) المصدر السابق. ص٢٦٤.

إن العقيدة الفاطمية تقوم على التوحيد، والإقرار بربوبية الله وأن محمدا رسول الله، ومن ثم راح المؤيَّد يدافع وينافح بالحجَّة والبرهان خصومه الذين حاولوا أن يقولوا –عبثًا– بقدريَّة الكون وأنه أوجد نفسه وستصير أموره إلى الزَّوال أيضًا من داخله، يقول [الخفيف][1]:

أيُّهَا المدَّعي التَلاشِي حُمْقًا ... ذَا الذي تَدَّعى عَلَيْكَ وَكِيلُ
أَتُرَى هَذِهِ الصَّنَائِعَ طُرًّا ... عَبَثًا مَا لِصَانِعٍ مَحْصُولُ
حَرَكَاتُ الأَجْرَامِ قُلْ لِي لِمَاذَا؟ ... وِلِمَاذَا طُلُوعُهَا وَالأُفُولُ
أَلَهَا فِي مَجَالِهَا الفِعْلُ أَمْ لَا؟ ... فَبِغَيْرٍ إِذًا يَجُوزُ تَجُولُ
إِنْ تَقُلْ: ذَاكَ فِعْلُهَا بِاخْتِيَارِ ... أَنْكَرَتْ مِنْكَ مَا ادَّعيْتَ العقولُ
إِنَّ فِيمَا دَنَا مِنَ المَاءِ والنَّا ... رِ عَلَى مَا عَلَا لَنَا التَّمْثِيلُ
وَلَئِنْ قُلْتَ: ذَاكَ غَيْرُ اخْتِيَار ... قُلْتُ كُلٌّ مُدَبَّرٌ مَحْمُولُ

ومن معجم المعاني أيضا تلك المنافحات والمناظرات التي اعتمد المؤيَّد فيها على الحُجَّة والدَّليل، ومخاطبة العقل أولا، بعرض الأمر عليه وبيان خطأ الرُّؤية التي ادَّعاها البعض والرؤية العقلية السليمة، ثم يترك للعقل فرصة التفكير وحسن الاختيار، فيركن إلى الحقِّ والصَّواب بإدراكه، وليس بالجبر والقهر.

يقول [الرجز][2]:

وَمُدَّعٍ فِي الخَيْرِ والشَّرِ مَعَا ... أَنَّهُمَا اللهُ تَعَالَى صَنَعَا
وقائِلٍ ذَلِكَ كُلٌّ مِنَّا ... وَذَلِكُمْ دِينٌ بِهِ آمَنَّا
وَقَائِلٍ فِي ظُلَلِ الغَمَامِ ... يأتي مع الملائك الكرام
وَقَائِلٍ لِلَّهِ وَجْهٌ وَيَدُ ... وقوله هذا لديه رشَدُ
وَقَائِلٍ ذَلِكَ حُكْمٌ بَاطِلُ ... إِنْ صَحَّ ذا فالله شَخْصٌ ماثِل
وَقَائِلٍ بِيَدِهِ يَسْقِينَا ... فَإِنَّ ذَا مِنْ فَضْلِهِ يَكْفِينَا
فَإِنَّ فِي مَعْنَى عَلَى "العَرْشِ اسْتَــوَى" ... مُبْتَدَعًا كُلٌّ وَرَكَّابَ الهَوَى
فَوَاحِــدٌ بالاسْتِــوَاءِ قَــــالا ... وَوَاحِدٌ قَالَ وَقَدْ أَحَالَا

(١) المؤيَّد في الدِّين: الديوان. ص٢١٦ – ٢١٧.

(٢) المؤيَّد في الدِّين: الديوان. ص١٩٢. أطَّ الشَّيءُ: صوَّت. وأطَّ البطنُ: صوَّت من الجوع، أو من شُرْب الماء عند الامتلاء، وأَطَّ الظَّهرُ: صَوَّت من ثِقَل الحِمْل، وأَطَّت الإبِلُ: أَنَّت من تَعَب أَو ثِقَلِ حِمْلٍ أو حَنِين.

مَعْنَى "اسْتَوَى" اسْتَولَى وَهَذَا مُكْنَتُهْ وَحَوْلُهُ مِنْ دِينِهِ وَقُوَّتُهْ
فَكَأَنَّ حِينًا لَمْ يَكُنْ مُسْتَولِيًا يَا مَنْ غَدَا عَنْ الهُدَى مُولِّيَا
وَهْوَ الذِي قَدْ حَرَّفَ الكِتَابَا عَنْ وَجْهِهِ وَجَانَبَ الصَّوَابَا
يُثْبِتُ شَيْئًا –لَيْسَ فِيهِ– فِيهِ وحُكْمَ آيٍ أُحْكِمَتْ يَنْفِيهِ

فهو يرى أنَّ الكلام في القرآن ووقوع النقص منه والتحريف فيه كتحريف أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى لكتبهم فقد يقع القطع على أنه حرَّف الكلام عن مواضعه في القرآن لا من حيث يعتقد أنه نقص شيء من سطوره بل أدخل عليه التحريف من جهة المعنى الذي هو الغرض والمغزى لا من حيث اللَّفظ.

ولنلتفت إلى وسائله في الإقناع العقليّ بدعوة الناس إلى امتثال أوامر الولاة والانتهاء عما نهوا، وكيف يتسلَّل للنَّفس عن طريق العقل يقول [الرجز][(١)]:

فَالبَحْرُ لَو مَيَّزْتُمُ بَحْرَانِ فَوَاحِدٌ قَدْ قَامَ لِلْعَيَانِ
وَوَاحِدٌ قَدْ قَامَ لِلبَصَائِرِ وُجُودُهُ وَقْفٌ عَلَى الضَّمَائِرِ
فَمُدْرَكُ الأَفْكَارِ رُوحَانِيّ وَمُدْرَكُ الأَبْصَارِ جُسْمَانِيُّ

ذَلِكَ عُلْوِيّ، وَذَا سُفْلِيّ ذَاكَ سَمَاوِيّ، وَذَا أَرْضِيّ
كِلَاهُمَا مُغْرِقٌ مَنْ خَاضَهُ مُورِدُهُ مِنَ الرَّدَى حِيَاضَه
إِلَّا الذِي يَرْكَبُ فِي السَّفِينَهْ مُدَرِّعًا مَدَارِعَ السَّكِينَهْ

فإذا كنت في بحر تحيطك المياه من كل جانب، فما سبيل النَّجاة؟ إنَّها السفينة، كذلك إذا كنت في لُجَّة من الاختلافات الدينية والعقدية فما سبيل النَّجاة؟ إنَّهم الولاةُ والأئمةُ (حَسَب عقيدة الشاعر)، التابعون لدعوة رسول الله، الحاملون لواء الدين من بعده، ورفع رايته، وتظهر رؤية الشاعر في كسب ثقة المتلقي حين يأتي بالدليل من السنة، فليس هو من المُغَالين في رفع مكانة الولي فوق مرتبة الألوهية أو النبوة، وإنما التشبه والمتابعة، ففي الحديث: "مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غَرِق" أي دخلوا دعوة الإمام الذي أقامه الناطق ونصَّبَهُ وأوجب طاعته وأمرهم بالدُّخول في دعوته.

(١) المؤيَّد في الدِّين: الديوان. ص٢٠٠.

وعلى غرار الدفاع العقلي السابق والمناظرة القائمة على الحُجَّة والدَّليل، يقول [الرجز][1]:

مَا العَرْشُ وَالكُرْسِيّ يَا أهلَ النَّظَرْ؟ عَقْلاً أُرِيدُ لَيْسَ تَقْلِيدُ الخَبَرْ
مَا العَرْشُ ثُمَ العَرْشُ مِمَا ذَا خُلِقْ؟ قُولُوا فكم حَلْقٍ بِذَا المَاءِ شَرِق
لَا سِيَّمَا إِذْ يَحْمِلُ الرَّحْمَانَا مَنْ رَدَّ هَذَا دَفَعَ القُرْآنَا
إن كَانَ ربُّ العَرْشِ مَحْمُولًا لَهُ كَانَ ضَعِيفًا عِنْدَ مَنْ أَقَلَّهُ
وإِنْ يَكُ الرَّبُّ لِذَاكَ حَامِلًا فَالعَرشُ إِذْ سَمَّيْتَ قُلتُ بَاطِلَا
فَالعَرْشُ مَا يَحْمِلُ لا مَا يُحْمَلُ ذَا النَّعْتُ بِالحَامِلِ جِدًّا أَجْمَلُ
هَذَا شَنِيعٌ مِنْهُ هَذَا أَشْنَعُ وَذَا فَظِيعٌ مِنْهُ هَذَا أَفْظَعُ
وَالذِّكْرُ مَحْفُوظٌ بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالحَقُّ فِي أَيْدِي وُلَاةُ الأَمْرِ

فالمؤيَّد لم يتعرض إلى المغزى الذي قصد إليه، ولا التأويل الذي اتخذه وأبناء طائفته إلا في مجالسه المؤيديَّة حيث قال: "فالكرسي علم الله الذي تصادف به النفس مستقرّها ومهداها في الدَّار الآخرة، والعلم يسع السَّماوات والأرض الذين هم النُّطَقَاء والأوصِيَاء، وهم سماء الدين وأرضه التي منها تنشأ الصور الأبدية المخلوقة لدار الثواب"[2].

ومن معجم مفردات معاني الطور الأول من حياة المؤيَّد، وفي نهاية معرض مدحه للإمام وآل البيت، لا ينسى نفسه، فهو يعدِّد مآثرهم ومآثره، وما قام به وآباؤه في سبيل الدعوة، ويختم قصائه بذكر اسمه "ثمَّ بعد ذلك كله يظهر أثر فارسية المؤيَّد في ذكر اسمه في آخر كل قصيدة، وهو ما يسمَّى في الأدب الفارسي بالتخلُّص، وهذا الفن وُجِدَ في فارس منذ أول ظهور الشعر الفارسي، ونجده عند شعراء الفرس في القرن الرابع الهجري وما بعده، وأخذه المؤيَّد عنهم، ولا يكاد يُعرَف شاعرٌ من شعراء العربية اتَّخذ هذا الفن في شعره قبل المؤيَّد، فإذا صحّ أن شعراء العربية لم يذكروا أسماءهم في الشعر إلا في العصور المتأخرة، فيكون المؤيَّد أسبق شعراء العربية، إلى نقل هذا الفن من الفارسية إلى العربية"[3].

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٠٢.
الشَّناعةُ: الفَظاعةُ، شَنُعَ الأَمرُ أَو الشيء شَناعةً وشَنَعا وشُنعاً وشُنُوعاً: قَبُح، فهو شَنِيعٌ.
(٢) المؤيَّد في الدِّين: المجالس المؤيَّديَّة. ج٣ ص٥٨.
(٣) نص عبارة للمحقق محمد كامل حسين. ديوان المؤيَّد في الدِّين. ص١٧١.

(ذِكر اسمه أو لقبه أو كنيته):

وإذا استعرضنا ما ذكره المؤيَّد، من ذكر اسمه أو لقبه أو كنيته في نهاية كل قصيدة لطال بنا المدى، لكن سنقتبس بعضاً من الشواهد التي تدل على هذا من بعض قصائده.

يقول في نهاية القصيدة الأولى على حسب ترتيب الديوان [الرجز][١]:

نظْمُ ابنِ مُوسَى وَهْوَ عبدُ الظاهرِ ذاك الإمامُ ابنُ الإمام الطَّاهِرِ
صَّلى عَلَيْه رَبُّنَا وَسلَّمَا كَمَا بِهِ أَنْقَذَنا مِنَ العَمَى

ويتحدَّث في نهاية القصيدة الثالثة عن حاله في معاركه الكلامية ضد مخالفي دعوته ومن قام ينافحهم بالحُجَّةِ والدَّليل يقول [الخفيف][٢]:

هبَةُ الله إن يَكُنْ لكَ حَرْباً صَرْفُ دَهْرٍ فَأَنتَ منه حريب
وبسيف الجفاء من كل وغد أنت في كل حالة مضروب
فلأنت الأعلى فصبرا جميلا إن ذا الصبر في البلاء نجيب

ويوضح حقيقة قصائده في مدح أبي تميم الخليفة (المستنصر بالله) في محاولة إخراجها في أبهى حُلَّة، حُلَّةٍ كحُلَّةِ العروس، فإذا حدث عجزٌ أو تقصير، فهذا جهد المقل، يقول [الرجز][٣]:

لِابْنِ أَبِي عِمْرَانَ فِيكُمْ مِدَحٌ غَرَّاءَ تُرْزِي بِالحُلِيِّ وَبالحُلَلْ
والعجْزُ والتَّقْصيرُ قُصْراهُ سوى أنَّ الذي يَقُوله جَهْدُ المُقِلْ

وفي موضع آخر يذكر اسمه مبيناً من وراء ذلك مدح الإمام، فهو صنيعته، ومن يحتمي به من غدر الزمان، ومن يلوذ به من نوائب الدهر. يقول [الخفيف][٤]:

وابنُ مُوَسى بهِ عَلَى الزَّمنِ الجا ئِرِ في كلِّ حَالةٍ يَسْتَطيلُ
وَلِئِنْ سَبَّهُ العِدَى فيه لا بأْ سَ فَإِحْسَانُهُ لدَيْهِ جَزيلُ

ويبين في ختام قصيدته وهو يذكر اسمه، مدى اعتزازه بطاعة وليّه، ومدى فخره بشرف انتسابه إليه، وأنه وآباءَه دائما طوع بنانه ورهن إشارته في سبيل خدمته. يقول [المتقارب][٥]:

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص١٩٨.

(٢) المصدر السابق. ص٢١٠.

(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢١٤.

(٤) المصدر السابق. ص٢١٨.

اِسْتَطالَ الشَّيْءُ: صارَ طويلاً، طالَ، واِسْتطالَ على شَرَفِهِ: مَسَّهُ بِعَيْبٍ، نالَ مِنْهُ، واِسْتطالَ علَيْهِ: اِعْتَدَى وَظَلَمَ.

(٥) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٣٢.

فَذَاكَ ابنُ مُوسَى الذِي لَمْ يَزَلْ إِلَى عِزِّ طَاعَتِكُمْ ذَا انْتِسَابِ
وَمَا زَالَ آبَاؤُهُ فِي العَبِيدِ سَرَاةَ العَبِيدِ وَخَيْرِ الصِّحَابِ
عَلَيْكَ السَّلامُ مَدَى الدَّهر ما بَدَا الرَّوْضُ مِن وَابِلٍ ذِي انْسِكَابِ

وفي نهاية قصيدة أخرى يؤكِّد المعنى السابق فيقول [الخفيف](١):

هِبَةُ اللهِ فِي بُحُورِ نَدَاكُم لا غريقٌ لكنه عَوَّامُ
فَلِساني لِمَدْحِكُمْ نَظَّامُ وفُؤَادِي بِذِكْرِكُمْ مُسْتَهَامُ

ويُبَيّن أنَّ قصائده ما هيَ إلا أناشيد يُترَنَّمُ بها في مدح الإمام، ويريد للجميع أن يَتغنوا بخصاله وأفعاله، وأن يتبعوا أوامره وتعاليمه. يقول [الطويل](٢):

نشيدُ ابنِ مُوسَى عَبدُ صِدْقٍ مُجَاهِد قُصَاراه حقًّا خِدْمَةٌ وَدُعاءُ

فقصارى جهده، وغاية أمله، خدمة الولي والدعاء لدعوته، ليُقبِل الناس على الالتفاف حوله.

(الألفاظ الفارسيَّة):

ونتيجة هذا الاعتزاز تراه وقد تسلَّلت إلى ألفاظه بعض الألفاظ الفارسية، يقول في الحديث عن عظمة (كاليجار)، وكيف أنه مؤيَّدٌ من عند الله، وكيف حظيَ بمكارم الأخلاق. يقول [الرَّجز](٣):

جَعَلْتُ شَاهِنْشَاهَنَا المُعَظَّمَا مِنْ نَائِبَات الدَّهرِ لِي مُعْتَصَمَا
يَا كَالِيجَار فَالإِلَهُ جَارُه وَفِي ذُرَاهُ وَحِمَاهُ دَارُه
المَرْزُبَانُ والزَّمَانُ عَبْدُه كَمَا الكِرَامُ الكَاتِبُونَ جُنْدُه

"فالشَّاهِنْشَاه" لفظ فارسيّ يعني "ملك الملوك" ويطلق على ملكهم، لكن انظر إلى هذا الملك المعظَّم وكيف صارت حالته، فالشاعر جعله "مُعْتَصَمًا" له من نائبات الدهر، أي يعتصم به من حوادث الدهر وشدائده.

وفي مفتتح القصيدة الثامنة والأربعين يقول [الخفيف](٤):

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٣٢.
(٢) المصدر السابق. ص٢٣٧.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٣١٨.
الشاهِنْشاه: ملك الملوك، أو الملك الأعظم.
المَرْزُبَانُ: رئيس الفُرْس، أو الفارس الشجاع المقدَّمُ على القوم، وهو دون الملك في الرُّتبة. والجمع: مَرَازِبة.
(٤) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٩٦.

ظَهَرَ العَدْلُ فِي مَحَلِّ إِمَامِ وَبَدَا فِي ضَرَائِعِ الأَنْعَامِ

"وأحيانًا كان يستعمل بعض المعاني الفارسيَّة التي لا أذكر أنِّي وجدتُ مثيلًا لها في الشِّعر العربيّ القديم .. يقول الشاعر: (إنَّ عدل الإمام شَمِلَ جَمِيعَ أَوْلِيَائِهِ وَانْتَشَرَ وَعَمَّ البِلَاد)، هذا المعنى لا أكاد أجد له مثيلا في الشعر العربي قبل المؤيَّد ولكنه كثيرٌ جدًّا في الأدب الفارسي"(١).

(رغد العيش واعتزازه بشيعيته):

ومن سِمَات المرحلة الأولى من حياة المؤيَّد –كما ذكرنا من قبل– حديثه عن رغد العيش وهناءته التي يعيش فيها، والنعمة التي أفاءها عليه ممدوحه. يقول [الكامل](٢):

أَهْلًا بِطِيبِ زَمَانِ مَوْلَانَا الذِي وَافَى بِوَجْهٍ بِالسَّعَادَةِ مُسْفِرِ
زَمَنٌ يُبَشِّرُنَا بِخَيْرٍ مُقْبِلٍ تَتْرَى وَشَرٍّ لا مَحَالَةَ مُدْبِرِ

فعلاقة التضاد في تحول حالة الزمن وارتياحه، وطيب الزمان وهناءة العيش التي طالت كل شيء، إنما هي بفعل وجود الإمام مولى المسلمين، فطيب الزمان لم يأت إلا مع مجيء الولي، فسعادة وجهه أحالت الزمن بإقبال الخير وإدبار الشر. ويؤكِّد الشَّاعر حقيقة الحياة السعيدة، ورغد العيش، وراحة القلب، وهناءة النفس في تلك الحقبة من حياته. يقول [الخفيف](٣):

قَدْ جَرَتْ بِالسُّعُودِ لِي الأَقْلَامُ وَقَضَتْ بالمَسَاعِدِ الأَيَّامُ
وَتَنَبَّهْتُ فِي مَرَاشِد دِينِي لأُمُورٍ قَدْ نَامَ عَنْهَا الأَنَامُ
فَرُوَائِي جِسْمٌ، وَمَحْصُولُ جِسْمِي مَلَكٌ دُونَهُ الخُطُوبُ الجِسَامُ
وَفُؤَادِي بِنُورِ رَبِّي مُضِيءٌ حِينَ يَغْشَى نُفُوسَ قَوْم ظَلَامُ

في تلك المرحلة يحدِّثنا عن نفسه القويَّة، وَرَبَاطَة جأشِهِ التي لا تأبه بالأحداث والخطوب، فالخطوب لا تقوى على مقابلته خوفا من سطوته وجبروته، فتفر وتبتعد عنه. يقول [الكامل](٤):

---

(١) المصدر السابق. ص١٧١ – ١٧٢.

(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٢١.

تَتْرَى: (انظر: وتر) جاءُوا تترَى: متواترون، متتابعون، واحد بعد واحد وبين الجائي وسابقه فترة ومُهلة، جاء القومُ تترى.

(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٣٣.

(٤) المصدر السابق. ص٢٢٣.

الغَضْفَرُ: الجافي الغليظ، ورجل غَضَنْفَرٌ؛ وأَسد غَضَنْفَر: غليظ الخَلْق مُتَغَضِّنه

الليث: الغَضَنْفَر الأَسدُ، ورجل غَضَنْفَرٌ إذا كان غليظاً.

جِسْمِي حَمُولٌ لِلنَّوَائِبِ كُلِّهَا ... لَكِنَّ لِي فِي الجِسْمِ قَلْبَ غَضَنْفَرِ
مَا رَاعَنِي مِنْ صَائِلٍ صَوْلٌ وَلَا ... ضَعُفَتْ قُوَى جَلَدِي لِبَأْسِ مُسَيْطِرِ
يُعْمِي عُدَاةَ بَنِي عَلِيٍّ مَنْظَرِي ... وَيُصِمُّهُمْ فِي كُلِّ صُقْعٍ مَخْبَرِي
فَلَقَدْ تَطَيَّرَ بِي النَّوَاصِبُ كُلُّهُمْ ... أَنَّى أَقَمْتُ وَسِرْتُ أَيَّ تَطَيُّرِ

وتتجلَّى روح القوة والعزيمة في شعره الحماسيّ الذي فَخَر فيه بنفسه وعلمه وشعره ودفاعه عن آل النبي من الولاة والأئمة. يقول [المتقارب](١):

لَقَدْ عَلِمَتْ مِصْرُهَا وَالشَّامُ ... وَقُطْرُ الحِجَازِ وَأَرْضُ اليَمَنْ
وَفَارِسٌ مِنْ قَبْلِهَا وَالعِرَاقُ ... إِلَى السِّنْدِ عِمْرَانُهَا وَالدِّمَنْ
بِأَنِّيَ سَيْفٌ لِآلِ النَّبِي ... صَقِيلٌ صُقِلْتُ بِمَاءِ اللَّسَنْ
فَكَمْ مِنْ جَوْهَرِ لَفْظٍ نَظَمْتُ ... وَدُرٍّ نَثَرْتُ عَدِيمِ الثَّمَنْ
مَدَحْتُ النَّبِيَّ وَآلَ النَّبِيِّ ... إِلَى أَنْ قَدَحْتُ زِنَادَ الفِطَنْ
فَكَمْ مِنْ غِشَاوَةِ جَهْلٍ كَشَفْتُ ... وَرُوحٍ نَفَخْتُ بِهَا فِي بَدَنْ

ويؤكِّد الشاعر اعتزازه بشيعيته في هذا الطور، فقد هُدِيَ إليها عن طريق اتِّباع إمامه، يقول [الوافر](٢):

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٥١.
دِمْنةُ الدار: أَثَرُها، والدِّمْنة: آثارُ الناس وما سَوَّدوا وقيل: ما سَوَّدوا من آثار البَعَر وغيره، والجمع دِمَن، على بابه ودِمْنٌ، الأَخيرة كسِدْرة وسِدْر.
(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٣٠٠.
العرَّافُ: مُنجِّم، مَن يدَّعي القدرة على كشف المستقبل، متنبِّئ، متكهِّن.

بِمَوْلَانَا الإِمَامِ أَبِي تَمِيم هُدِيتُ إِلَى "الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ"
قَسِيمُ النَّارِ مَوْلَانَا مَعَدٌّ وَجَنَّاتُ العُلَى وَابْنُ القَسِيمِ
هُوَ المُسْتَنْصِرُ المَنْصُورُ مَوْلًى هُوَ القَسَمُ العَظِيمُ مِنَ العَظِيمِ
وَنَجْمُ السَّعْدِ لِلتَّالِينَ ذِكْرًا وَعَرَّافُ المَوَاقِعِ لِلنُّجُومِ
نُجُومٌ فِي ظَلَامِ البَرِّ تَهدِي وَلُجُّ البَحْرِ فِي اللَّيْلِ البَهِيمِ
نُجُومٌ يُسْتَضَاءُ بِهِمْ رُجُومٌ لِشَيْطَانٍ يُعَادِيهِمْ رَجِيمِ

فالهداية إلى الصراط المستقيم، صراط مولاه المستنصر ومذهبه الشيعيّ، الذي يعتز ويفخر به، والذي هدى به الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وبدَّد الجهل والغواية التي يغوي بها الشيطان العباد، فكان مذهبه رافضًا لرجس الشيطان وأفكاره.

فهذه الألفاظ والمعاني تُمثِّل معجم الشاعر الذي دارت حوله قصائده في الطور الأول من حياته، فإذا انتقلنا إلى الطور الثاني والذي ترك فيه فارس وقبل أن يصل إلى مصر، نجده وقد اختلفت شخصيته عن تلك التي عُرِفَ بها في فارس، فهو رجل خائف يترقب أن يأخذه أعداؤه من كل جانب، متحيَّر في أموره، لا يدري أي صوب يتجه، ذليل في غربته، ضعيف بوحدته، شاحب اللون من كثرة آلامه وشقائه، يبكي نهاره، ويأرق ليله، يذكر حياته في فارس بين إخوانه وعشيرته فيندب حظّه، ويشكو الدَّهر وتقلُّباته، وشعره يمثِّل الرجل الضعيف الجبان، خائر العزيمة، فلم يجد بُدًّا من الاستغاثة والتَّضرُّع، فاستغاث بالإمام وناشده أن يشد أزره ويكشف عنه الضر، ووقف على قبر الإمام عليّ رضي الله عنه مستغيثًا أن ينصره على أعدائه، وأخذ يناجي الله ويتضرَّع إليه أن يحميه من أعدائه، تلك كانت أبرز ملامح الطور الثاني من حياة الشاعر، والتي دار حولها معجمه اللُّغويّ، المُمثَّل في الألفاظ والمعاني التي ناسَبَت ذلك الطَّور.

(الغربة والاغتراب):

ولشعور الشاعر بالغربة وإحساسه بالاغتراب، بالبعد عن مهده وموطنه وأهله، يقول [الكامل][(١)]:

يَا لَلتَّغَرُّبِ أَنْتَ بِئْسَ الدَّاءُ فَغِنَاكَ فَقْرٌ، وَالعَطَاءُ عَنَاءُ
والعِزُّ ذُلٌّ، وَالسَّعَادَةُ شَقْوَةٌ وَاليُسْرُ عُسْرٌ، وَالبَقَاءُ فَنَاءُ
وَالعُرْفُ مِنْكَ النُّكْرُ إِنْ يَوْمًا أَتَى أَنَّى وَحَالُكَ كُلُّهَا نَكْرَاءُ

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٢٤.
العُرْف: الصَّبْرُ، والعُرْف: المعروفُ: اسم ما تعطيه، معروف، جود خلاف النُّكْر.

إنَّ نفس الشاعر متألِّمةٌ حزينة، نفسٌ محبطةٌ تشعر باليأس وخيبة الأمل والرجاء، ومن ثمَّ فهي ترى الشيء ونقيضه، فالمتناقضات تصدر عن نفسٍ مضطربةٍ قلقةٍ حيرى، فغربة الشاعر الدالة على نفسه المتألمة تظهر في (غناك فقر، العطاء عناء، العزُّ ذلٌّ، السعادة شقوةٌ، اليسر عسر، البقاء فناءُ)، فأصبح سبب سعادة الشاعر وسمو نفسه وفرح قلبه وما يخالفها من قهر وذل سواء. وينادي الشاعر ما لا يعقل، وفيه انزياحٌ وخروج على المألوف المعتاد، والتَّنحي عن السائد والمتعارف عليه، حين ينادي الفراق مبينا ما أحدثه بنفسه وقلبه. يقول [مجزوء الكامل المرفَّل](١):

فَرَّقْتَ شَمْلِيَ يَا فِرَا قُ وَخَانَنِي جَلَدِي فَمَهْلَا
مَا كُنْتُ أَرْضَى عِيشَةً فِي فُرْقَةِ الأَحْبَابِ كَلَّا
لَوْ أَنَّهَا مَرْضِيَّةٌ دَعْ كَوْنَهَا غُرْمًا وَكَلَّا
يَا حُزْنَ قَلْبِي إِذْ خَلَا وَطَنًا وَعَنْ أَهْلٍ تَخَلَّى

فلقد اضطر الشاعر إلى تلك الغربة التي لم يكن يرضى بها، مفارقًا بسببها أهله وأحبابه.
ويتَّخذ الشاعر من ألم البعد النفسي عن ممدوحه مدخلا للحديث عما يقاسي من آلام غربته. يقول [الطويل](٢):

إِلَى كَمْ عَنَائِي مِنْ هَوَاكَ عَنَاءُ فَجِسْمِي، نُحُولًا فِي هَوَاكَ، هَوَاءُ
يَقُولُونَ بِي الدَّاءُ العَيَاءُ وَعُشْرُ مَا أُقَاسِيهِ لِلدَّاءِ العَيَاءِ عَيَاءُ
بَكَيْتُ إِلَى أَنْ صَارَ يَبْكِي لِيَ البُكَا فَهَلْ عَجَبٌ أَنْ لِلْبُكَاءِ بُكَاءُ
لِأَحْبَابِنَا إِنَّا لَهُمْ عَنْ قُلُوبِنَا وَأَرْوَاحِنَا فِي بُعْدِهِمْ بُعَدَاءُ
أَحِنُّ إِلَى مَائِي وَمَرْعَايَ مِنْهُمُ فَمَا طَابَ مَرْعَى بَعْدَ ذَاكَ وَمَاءُ

وكيف يطيب الماء والمرعى للشاعر وعُشر ما أصابه من مرضٍ هو للدَّاء القاتل داء، بل لقد أخرج الأشياء بغربته عن طبيعتها (صار يبكي لي البكاء) ثم إذا استنكر أحد هذا تعجَّب منه الشاعر (فهل عَجَبٌ أنْ للبُكَاءِ بُكَاء)، إنَّ ديار الشاعر عزيزة على قلبه، وخروجه منها معادل لإزهاق روحه وخروجها من جسده؛ ولذلك فهو يحن إلى مائه ومرعاه، ولكن (فما طاب مرعى بعد ذاك وماء). ويعدِّد الشاعر صور آثار الغربة على نفسه، ولا يجد إلا إمامه يستغيث به مما يجد، لعله يواسي ويخفف عنه ألمه وحزنه، يقول [مجزوء الكامل المرفَّل](٣):

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٢٨.
(٢) المصدر السابق. ص٢٣٦.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٤٣.

أَهْلًا بِمَنْ حَلُّوا الفُؤَا دَ وَإِنْ هُمُ بِالشَّرْقِ حَلُّوا
فَالقَلْبُ بَيْتُهُمُ عَلَى بُعْـ ـدٍ وَهُمْ لِلْبَيْتِ أَهْلُ
وَدُمُوعُ عَينَيَ بَعْدَهُمُ فِي صَحْنِ خَدِّي تَسْتَهِلُّ
والجِسْمُ مِنْ طُولِ الضَّنَا وَالشَّوْقُ يُوشِكُ يَضْمَحِلُّ
رَبِّي حَسِيبُكَ يَا زَمَا نُ أَمَا فَعَلْتَ بِنَا يَحِلُّ
فَرَّقْتَ شَمْلَ سُرُورِنَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ ضُمَّ شَمْلُ
أَنَّى بِعَدْلِ إِمَامِ حَقٍّ عَمَّ مِنْهُ الخَلْقَ عَدْلُ

وبالرغم من الغربة عن الأهل والوطن، فالشاعر في اتجاه وهم في اتجاه آخر، لكن يظلُّ (القلب بيتهم في البُعد)، فمهما بعدت المسافات ونأت بالغربة الديار، فموطن من يحبهم القلب، ثم يوضح ما فعلته الغربة بجسمه من مرضٍ وهلاك (والجسمُ من طول الضَّنا والشَّوقُ يوشك يضمحلُّ) ثم تأتي الاستغاثة بالإمام (أنَّى بعدلِ إمام حقّ)، فعدله هو الذي يحقق له الانتصار والغلبة على تلك الحالة التي آل إليها.

والشاعر وفيٌّ لوطنه لا ينساه حتى وهو يقاسي آلام غربته، يقول متحدِّثا عما يكن له بالرغم مما يعاني في بعده طوال غربته [الطويل][(١)]:

نَسِيمَ الصِّبَا أَلْمِمْ بِفَارِسَ غَادِيًا وَأَبْلِغْ سَلَامِي أَهْلَ وُدِّي الأَزَاكِيَا
وَزُرْ بُقْعَةَ الأَهْوَازِ عَنِّي مُحَيِّيًا بِهَا غُرَّ إِخْوَانِي وَأَرْجَانَ تَالِيَا
وَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي رَهِينُ صَبَابَةٍ صُبَابَةُ وَادِيهَا تُزِيلُ الرَّوَاسِيَا
وَقُلْ كَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدَ عَهْدِي فَإِنَّنِي بُلِيتُ بِأَهْوالٍ تُشِيبُ النَّوَاصِيَا
لَبِسْتُ لِبَاسَ الذُّلِّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ وَكَمْ ذَا لِعِزٍّ قَدْ سَحَبْتُ رِدَائِيَا
وَقَاسَيْتُ صَعْبًا بَيْنَ حِلٍّ وَرِحْلَةٍ يُقَلِّبُ قَلْبَ الصَّخْرِ أَدْنَاهُ وَاهِيَا
وَعَارَكْتُ من بَرْدَ الشِّتَاءِ مَعَاطِبًا بِسَيْرِي وَمِنْ حَرِّ الهَجِيرِ مَكَاوِيَا
وَلَابَسْتُ أَقْوَامًا غِلَاظًا طِبَاعُهُمْ تَظَلُّ بَنُو الآدَابِ فِيهِمْ خَوَافِيَا

لقد أدار الشاعر كادر كاميرته التي يصوِّر بها حاله، فاتَّسعت الرُّؤية وظهرت تفاصيل جديدة من الآلام والمعاناة، وانتقل بالكاميرا إلى لقطتين أو مشهدين مهمَّيْن:

الأول: يظهر حبه لوطنه ويتمنى أن ينعم بالخير وأن يحيا ويهنأ بعيشٍ رغيد.

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٤٥.

والثاني: يظهر أثر الغربة والفراق على نفسه وجسمه.

ولقد عدَّد لمظاهر الغربة آلاما كثيرة تمثَّلت في قوله: (بُلِيتُ بِأَهوالٍ تُشِيبُ النَّوَاصِيَا، لَبِسْتُ ثِيَابَ الذُّلِ، قَاسَيْتُ صَعْبًا بَيْنَ حِلٍّ وَرِحْلَةٍ، عَارَكْتُ بَرْدَ الشِّتَاءِ، مِنْ حَرِّ الهَجِيرِ مَكَاوِيَا، لَابَسْتُ أَقْوَامًا غِلَاظًا طِبَاعُهُمُ)، فإذا كان من عاشرهم في غربته، أقوامًا غلاظًا قلوبهم فقد زادت آلام غربته وتعدَّدَت.

ومن ثمَّ كانت نتيجة تلك المعاناة النفسية والآلام الروحية إطلاق الاستغاثة بآل عليّ رضي الله عنه، فيقول مستغيثًا بهم [الطويل][1]:

أَآلَ عَلِيٍّ كَمْ وَكَمْ فِي وَلَائِكُمْ ... قُصِدْتُ، وَكَمْ فِيكُمْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا
وَكَمْ قَدْ طَوَيتُ البِيدَ فِيكُمْ مُرَوَّعَا ... وَكَمْ بِتُّ مِنْ رُوحِي عَلَى اليَأْسِ طَاوِيَا
فَلَمْ يُثْنِ وَجْهُ العَزْمِ لِي عَنْ وَلَائِكُمْ ... وَكَيْفَ أَرَى عَنْكُمْ لِوَجْهِي ثَانِيَا
وَأَنْتُمْ عِمَادِي فِي مَعَادِي وَعُدَّتِي ... وَمَثْوَى رَجَائِي كَيْ تُغِيثُونَ رَاجِيَا

فـ (كم الخبرية) تعدِّد ما قام به الشاعر من نصرة ودفاع عن آل عليّ وتحمله المصاعب والمشاق من أجل إظهار مذهبهم وإذاعة دعوتهم، ومن ثمَّ فهم الآن عماده وعدَّته التي يستعين بها على ما يعاني من ويلات الغربة القاسية. وفي موضع آخر يستغيث بالله أن يفرِّج كربه، ويزيح عنه ألم غربته. يقول [المتقارب][2]:

إِلَهِي ضَاقَ عَلَيَّ الخِنَاقُ ... وَلَمْ تَبْقَ لِي طَاقَةٌ بِالمِحَنْ
سَأَفْرِشُ خَدِّي لَدَيْكَ النَّهَارَ ... وَأَشْكُو وَأَبْكِي إِذَا اللَّيْلُ جَنّ
عَسَى أَنْ تُفَرَّجَ عَنِّي الهُمُومَ ... حَنَانَاً وَتُذْهِبَ عَنِّي الحَزَنْ
إِلَهِي أَجِزِ عَبْدَكَ المُسْتَضَام ... بِمَنِّكَ إِنَّكَ أَهْلُ المِنَنْ

ويستغيث بالإمام عليّ رضي الله عنه، مستعينًا به على محنته، ومعاناته في غربته. يقول [الطويل][3]:

أَغِثْنِي أَغِثْنِي يابنَ عمِّ مُحَمَّدٍ ... فَخُذْ بِيَدِي مَوْلَايَ، رُوحِي لَكَ الفِدَا
فَأَلْحَظُ جَيْشَ البَغْيَ عَنِّي مُفْرَّقَا ... وَأُشْهِدُ سَيْفَ النَّصْرَ دُونِي مُجَرَّدَا

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٤٧.
(٢) المصدر السابق. ص٢٥٢.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٨٢.

هُمُ الذُّخْرُ فِي الدَّارَيْن لَا ذُخْرَ غَيْرِهِم هُمُ مُسْتَجَارِي اليَوْمَ هُمُ عُدَّتِي غَدَا

فتكرار طلب الإغاثة دليل على قسوة ما يعاني ويلاقي من أهوال، ادَّخر لها آل النبي، عليًّا وأبناءَه، فهم ذخره في الدنيا، ومجيروه في الآخرة.

ويتكرر طلب الاستغاثة بالإمام عليّ في مواضع متعددة، يقول في إحداها [الرجز][(١)]:

يَا خَيْرَ شَمْسٍ طَلَعَتْ من غَرْبِهَا ومَنْ بِهِ بَشَّرَنَا خَيرُ الرُّسُلْ

وَيَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُدَّتِي فِي شِدَّتِي والأمنُ لِي عِنْدَ الوَجَلْ

بِكَ اعْتَلَى فِي الأُفُقِ نَجْمٌ لِلهُدَى وَمِنْكَ حَقًّاً نَاجِمُ الكُفْرِ أَفَلْ

يَا قِبْلَةَ الأَرْوَاحِ يَا مَنْ نَحْوَهُ تَوَجَّهَتْ فِي الشَّرْقِ والغَرْبِ القِبَلْ

يَا أَمَلِي إِذْ خَابَ فِي النَّاسِ الأَمَلْ أَجَلْ وَيَا فَوْزِي إِذَا جَاءَ الأَجَلْ

نجده هنا يمدح الإمام بأنه الشمس التي تشرق من الغرب، فهو المهدي الذي بشَّر به الرسول، ولذلك هو القبلة التي يتجه نحوها في حاجته، وهو الأمل في الخروج من محنته إذا خانه الناس ولم ينصفوه أو يعاونوه.

وتتوالى الاستغاثات لقسوة ما رأى وهول ما عانى، لعل الإمام يستجيب له، فيخفِّف عنه، ويهوِّن عليه محنته، ويقيله من عثرته. يقول [المتقارب][(٢)]:

أَبَا حَسَنٍ يَا نَظِيرَ النَّذِيرِ وَلَولَا وُجُودُكَ فَاتَ النَظِيرَا

وَيَا قَمَرَاً بَعدَ ذَاكَ السِّرَاجِ مُنِيرَاً بَدَا لِلدَّيَاجِي مُنِيرَا

وَيَا صَاحِبَ البَيِّنَاتِ الذِّي يُرِينَا "نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرَا"

أَجِرْ عَبْدَكَ المُسْتَضَامَ الذِي أَتَى بِكَ مَوْلَى الوَرَى مُسْتَجِيرَا

وَأُخْرِجَ مِنْ أَرْضِهِ فِيكُمُ فَجَابَ البَرَارِي إِلَيْكُمْ فَقِيرَا

فَكُنْ لِي مُعِينًا وَلِيَّ الإِلَهِ عَلَى الظَّالِمِينَ وَكُنْ لِي نَصِيرَا

ولقد كان من مظاهر تلك المرحلة ضعف الجسم وشحوب الوجه، فالألم النفسي شديد على نفس الشاعر، وأبرز أمارات الألم النفسي تتمثل في الظهور على أعضاء الجسم والوجه خاصة، فيكون الهزال والاصفرار والشُّحوب. يقول [الخفيف][(٣)]:

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢١٣.

أَفَلَ النَّجمُ: غاب واستتر، وأفل اسمُه: لم يعد حديث الناس، وأَفَلَ نَجمُه: خمل بعد اشتهار، فقد شهرته أو بريقه.

(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٩١.

(٣) المصدر السابق. ص٢٠٧.

قَدْ مَحَا آيَةَ الشَّبَابِ المَشِيبُ وَدَنَا لِلْحِمَامِ مِنِّي الرَّقِيبُ
ضَعْفُ جِسْمٍ، وَوَهْنُ عَظْمٍ، وَلَوْنٌ قَدْ بَدَتْ فِيهِ صُفْرَةٌ وَشُحُوبُ
وَجَمَالٌ سُلِبْتُهُ وَبَهَاءُ طِيبُ عَيشٍ بِسَلْبِهِ مَسْلُوبُ
وَسَوَادٌ بُدِّلْتُ مِنْهُ بَيَاضًا هُوَ فِي العَيْنِ أَسْوَدٌ غِرْبِيبُ
كُلُّ هَذِي دَلَائِلٌ بَيِّنَاتٌ وَاضِحَاتٌ أَنَّ الرَّحِيلَ قَرِيبُ

فالحالة النفسية في الغربة أحالت كل شيء إلى نقيضه في ملامح وجه الشاعر وسائر جسده، فقد ضعُف جسمه ووهن عظمه، وأصبح الاصفرار والشحوبُ لونه، ولما سُلِبَ منه طيب العيش في المرحلة الأولى، وزالت النعمة التي كان يعيش فيها سُلِبَ جماله، حتى أدرك الشاعر أن هذه العلاقات وتلك التغيرات هي نذير بأن " الرحيل قريب".

ويؤكد الشاعر المعنى المعجمي السابق بصورة أخرى وألفاظ تناسب حالته، يقول [المتقارب][1]:

فَقَلْبِي وَلُبِّي مَعًا عَازِبَان وَعَيْنَايَ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ
كَفَانِيَ دَمْعٌ كَنَثْرِ الجُمَانِ عَلَى صَحْنِ خَدِّيَ مِنْ تُرْجَمَانِ
كَفَانِيَ أَنِّي مُعَنًّى الفُؤَادِ مُعَنًّى السُّهَادِ وَلِلذُّلِّ عَانِي
كَفَانِيَ فَقْدُ الوَلِيِّ الحَمِيمِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَنَا بَاقٍ كَفَانِي

فتكرار (كفى) للوضوح والظهور، فهو ليس بحاجة إلى دليل يؤكد به الحالة التي آل اليها من الضعف والشحوب والأرق (فكفى دمعه على خده ترجمانًا) فالدموع خير متحدث عن معاناة نفسه، والقلب (مُعَنًّى حزين متألِّم مؤرَّق)، يعيش في ذل وهوان (للذُّل عانٍ)؛ لذا فإن الشاعر يستوي عنده الحياة والموت (من بعده أنا باقٍ كفانٍ) فحياته وموته سواء في تلك الغربة، وهذا الألم والعذاب.

(الشَّكوى والاضطهاد والنُّفُور):

وأما الطور الثالث والأخير فيختلف عن الطورين السابقين، فقد ظهر في أول أيامه بمصر حيث شعر بأنه جاء يتلمَّس الخلاص مما حاق به، مطمئنًا إلى أنه سينال بُغْيَتَهُ ويعيش كما كان مطمئنًا في كنف الإمام، ولكن سرعان ما وجد غير ما كان يطمح إليه، إذ انصرف الناس عنه، ووجد قلوبًا تضمر له الحقد والكراهية، ولم يجد من المصريين إلا الاضطهاد والنُّفور منه، كما أنه قد بعد عن

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢١٩.
نضّاختان: فوّارتان بالماء لا تنقطعان.

الآداب التي وضعها علماء المذهب الفاطمي نحو أئمتهم، فشكا المؤيَّد إمامه لعدم إنصافه، وأنَّ الإمام لم يضعه في المكانة اللائقة به.

لقد بدأ الشاعر المرحلة آملًا في الخلاص ممَّا حلَّ به، ملتمسًا من الله أن يغيِّر ما به. يقول [مجزوء الرجز][١]:

يَا رَبِّ أَنْتَ المُرْتَجَى وَمَنْ سِوَاكَ أَرْتَجِي
أَمْ هَلْ سِوَاكَ فَاتِحٌ لِكُلِّ بَابٍ مُرْتَجِ
أَصْبَحْتُ لَا أَذْهَبُ مِنْ تَحَيُّرِي وَلَا أَجِي
شَيْخًا ضَعِيفًا جِسْمُهُ فَي صَدْرِهِ قلبٌ شَجِي
أَتَاهُ فِي المَأْمَنِ ما فِي الفِكْرِ لَمْ يَخْتَلِجِ

ويؤكِّد الشاعر في معجمه على هذا الرجاء والأمل في الله أن يزيل ويُذهِب ما به. يقول [المتقارب][٢]:

إِلَهِي دَعَوتُكَ سِرًّا وَجَهْرًا أَيَا مَالِكَ المُلْكِ خَلْقًا وَأَمْرًا
وَيَا مَنْ يُصَرِّفُنَا كَيْفَ شَاءَ حَيَاةً وَمَوْتًا وَحَشْرًا وَنَشْرًا
إِلَهِي شَدَدْتُ رِحَالَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ فَعَفْوًا إِلَهِي وَغُفْرًا
إِلَهِي لَوْ أَنِّي مَلَكْتُ العَدُوَّ مَدَدْتُ عَلَيهِ مِنَ العَفْوِ سِتْرًا

إنَّ الشاعر يُلِحُّ في الاستعانة والاستغاثة بالله أن يعود إلى سابق عهده، وما كانت عليه حياته في المرحلة الأولى، التي لم يذق بعدها طعم الهناء والراحة. يقول [مجزوء الكامل المرفَّل][٣]:

يا ربِّ أَشْكُو سُوءَ حَالِي أَبَدَاً وَأُخْلِصُ فِي ابْتِهَالِي
كَيْمَا تَجُودَ بِنَظْرَةٍ أُكْفَى بِهَا ضَيمَ اللَّيَالِي
فَيَعُودُ لِي حَرُّ الهَجِيرِ بِضيْمِهَا بَرْدَ الظِّلَالِ

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٥٣.
تخالجته الهمومُ: تجاذبته وتنازعته، تخالج في صدره شيءٌ: اختلج، خطَر له وشكَّ فيه، وداخله فيه ريب.
(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٦٥.
(٣) المصدر السابق. ص٢٦٧.
الضَّيْمُ: الظُّلْمُ، وضامه حَقَّه ضَيْماً: نَقَصه إياه، قال الليث: يقال ضَامَه في الأَمر وضامَهُ في حقه يَضِيمُه ضَيْماً، وهو الانتقاصُ، واسْتَضامَه فهو مَضِيمٌ مُسْتَضامٌ أَي مَظْلُوم.

لقد وجد الشاعر في مصر غير ما كان يتمنى، فقد كان يأمل بعد عناء المرحلة الثانية والهوان والعذاب الذي رآه، أن يجد المأوى والملجأ وأن يتغير حاله، وتعود إليه سيرته الأولى، لكن خاب ظنه وما كان يأمل ويصبو. يقول [الطويل](١):

لَقَدْ نَقَمُوا مِنِّي الهِدَايَةَ وَالتُّقَى ... وَذُو العَرْشِ مِنْهُمْ لِلضَّلاَلَةِ أَنْقَمُ
وَقَدْ مَنَعُونِي جَنَّةً يَسْكُنُونَهَا ... فَهَانُوا وَهَانَتْ إِنَّهَا لِي جَهَنَّمُ

وليست الشَّكوى من سوء خُلُقِ النَّاس وعدم اهتمامهم بالمشاعر وسوء معاملتهم، وإنما امتدَّت إلى شكوى الإمام أيضًا؛ لأنه كان من المفترض أن يكون هو المخلِّص المنتظَر للحالة المزرية التي آل إليها حاله. يقول [الطويل](٢):

أَلَا يَا بَنِي طَهَ بِنَفْسِيَ أَنْتُمُ ... فُؤَادِي بِكُمْ مُغْرًى وَقَلْبِيَ مُغْرَمُ
فَدَيْتُهُمُ طَوْعًا وَإِنْ كُنْتُ فِيهِمُ ... أُرَاقِبُ دَهْرِي أَنْ يُرَاقَ لِيَ الدَّم
أُنَاسٌ لَهُمْ جِسْمِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ ... مَحَلٌّ، وَقَلْبِي لِلْهُمُومِ مُخَيَّمُ
زَوَى الدَّهْرُ عَنِّي فِيهِمُ سَهْمَ خَيْرِه ... وَلِلشِّرِ مِنْهُ بَيْنَ أُحْشَايَ أَسْهُمُ
تَصَرَّمَ يَوْمٌ مِنْ "أُمَيَّةَ" جَائِرُ ... وَعَنِّيَ يَوْمُ الجَوْرِ لَا يَتَصَرَّمُ
لَئِنْ كَانَ مِنْهُم مُظْلِمًا زَمَنٌ مَضَى ... فَأَظْلَمَ مِنْهُ ذَا الزَّمَانِ وَأَظْلَمُ
وَإِنْ كَانَ شِيعَيٌّ تُهُضِّمَ تَارَةً ... فَهَا أَنَا ذَا طُولَ المَدَى مُتَهَضَّمُ
أُعَاينُ حَتْفِي بَاسِطًا لِي ذِرَاعَهُ ... كَمَا رَامَ فَتْكًا بِالفَرِيسَةِ ضَيْغَمُ

لقد كانت شكوى الشاعر لإحساسه بعدم الإنصاف، بعدما بذل في خدمة سادته كل ما يمكنه من دفاع باللِّسان والسِّنان، والمقارعة في المناظرات بالحُجَّة والبرهان، ودعوة الخلق إلى اتِّباع سنة الإمام ومنهجه، ولما فعل ذلك كله ولم يجد ثمرة جهده، وإخراجه من كبوته وإنصافه كان قوله [الوافر](٣):

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٧٥.

(٢) المصدر السابق. ص٢٧٤.

الضَّغْم: العَضُّ غير النَّهْشِ، وضَغَم به يَضْغَم ضَغْما وضَغَمَه: عَضَّ عَضّاً دون النَّهْشِ، وقيل: هو أَن يملأَ فمَه مما أَهْوى إليه؛ وأَنشد سيبويه وقد جَعَلَتْ نفسي تطيبُ لضَغْمَةٍ لضَغْمِهِماها يَقْرَعُ العَظْمَ نابُه قيل: هو العَضُّ ما كان.

(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٧١.

الطِّمْرُ: الثوب الخَلَق البالي والجمع: أَطْمَارٌ، رَجُلٌ طِمْرٌ: فَقِيرٌ، مُعْدِمٌ.

أَبَحْتُ حِمَى دَمِي فِيهِمْ وَفِيهِمْ خَسِرْتُ شَبِيبَتِي وَرَبِيعَ عُمْرِي
وَفِيهِمْ سِرْتُ عَنْ وَطَنِي غَرِيبًا أَجُوبُ الأَرْضَ قَفْرًا بَعْدَ قَفْرِ
فَلَمَّا جِئْتُهُم طَبًّا عَرُوفًا بِعُرْفٍ حِينَ يَأْتِيهِ وَنُكرِ
قَؤُولًا فِي وَلَائِهِمُ فَعُولًا بَذُولَ النُّصْحِ فِي سِرٍّ وَجَهْرِ
"أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ"
وَلَوْ لَمْ يَبْخَسِ المِقْدَارُ حَظِّي إِذَا مَا أَنْكَرُوا حَظِّي وَقَدْرِي
بَلَى عَلِمُوا بِأَنِّي طَوْعُ دِينٍ وَغَيْرِي طَوْعُ جَبَّابٍ وَطِمْرِ

وكأنَّ المؤيَّد تمثَّلَ أمامه الشاعر (العَرْجِي) وهو يقول في سجنه[(١)]:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَومِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ
وَصَبْرٍ عِنْدَ مُعْتَرَكِ المَنَايَا وَقَدْ شُرِعَتْ أَسِنَّتُهَا بِنَحْرِي
أُجَرِّرُ فِي الجَوَامِعِ كُلَّ يَومٍ فَيَا للهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرِو

لقد فاض الكيل بالشاعر من عدم إنصاف الإمام له، وتركه فرصة للعامَّة، يكيدون له حقدًا، ويحقدون عليه غلًّا، ومن ثَمَّ تراه يتحدث عن أهل هذا الطور بقوله [مجزوء الكامل][(٢)]:

لَيْسَ اِخْتِبَاطِي هَكَذَا إِلَّا لَأَنِّي مَاجِدُ
مَالِي وَأَوْلَادُ الزِّنَا كُلٌّ إِلَيْنَا قَاصِدُ
كُلٌّ بِبُغْضِي دَائِنُ كُلٌّ بِرُوحِي كَائِدُ
يَحْدُو بِهِمْ خُبْثُ البِنَا مِنْهُمْ وَأَصْلٌ فَاسِدُ
بُغْضُ الوَصِيِّ وَآلِهِ فِيهِ عَلَيْهِم شَاهِدُ
مَا البُغْضُ لِي إِلَّا بِهِم يُبْدِي الكَنُودُ العَانِدُ
فِيهِمْ لَقِيتُ، وَفِيهِمُ أَلْقَى الأَذَى وَأُكَابِدُ

(١) العرجي: ديوان العرجي، شرح وتحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ط الأولى، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م. ص٣٤.

(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٨٤.
كَنَدَ يَكْنُدُ كُنوداً: كَفَرَ النِّعْمَة؛ ورجل كنَّاد وكَنُودٌ، وامرأَة كُنُدٌ وكَنُود: كَفور للمواصلة.

فالتعبير(بالكل) يوحي بألّا أحد في تلك الأرض إلا وهو يحمل له الحقد ويضمر له الكراهية والبغض (كلٌّ إلينا قاصد)، (كلٌّ ببغضي دائنُ)، (كلٌّ بروحي كائدُ)، ومن ثم كانت لحظة الكشف والعكوف على الذات، والتعبير عنها وعما أصابها من الحزن والبكاء على ما حدث لها في تلك المرحلة وهذا الطور من المهانة والذُّلِّ بعد العزّ، والإساءة بعد النعيم والهناء. يقول [مجزوء الكامل المرفَّل][1]:

إنِّـــي امْتَطَيْـــتُ رَكَائِـــبَ الآ ... مَالِ ضَاحِكَةَ المَبَاسِمْ
إنِّـي عَلَـى رَبْـعِ مَهَيـــــدِ الـ ... ـعِزِّ والبُنْيَانِ قَادِمْ
فَقَدِمْـتُ مَجْهُـولًا وَقَـــــد ... نَقَضَ الجَنَاحَانِ القَوَادِمْ
فَرَأَيْـتُ رَبْعًـا قَـدْ عَفَـــــتْ ... مِنْهُ المَوَاسِمُ وَالمَعَالِمْ
أَخْنَـــى عَلَيْـــهِ زَمَـانُـــــهُ ... فَغَدَا حَصِيدًا كُلّ قَائِمْ
يَا رَبْعُ دَمْعِـــي سَاجِـــمُ ... حُزْنًا وَقَلْبِي فِيكَ هَائِمْ
أَنَّى تَخَوَّنَكَ الزَّمَـــــــا ... نُ فَصِرْتَ مَهْدُودَ الدَّعَائِمْ
إنِّي قَصَـــدْتُ لِكَيْ أُنَعَّـــــــ ... ـمَ فِي حِمَاكَ مَعَ النَّوَاعِمْ
فَلَقِيتُ قَصْمَ الظَّهْـــــــــرِ إِذْ ... نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ القَوَاصِمْ
أَبْكِيكَ شَجْـــــوًا فَابْكِنِـــــي ... إِنَّا مَعًا عَرْضَ المَحَارِمْ

(مديح الإمام المستنصر بالله):

ومما ورد من معجم الألفاظ التي تكررت في قصائد الشاعر الحديث عن الإمام المستنصر في مصر، فقد أراد الشاعر أن يصل إليه في الطور الثالث من أطوار حياته الثلاثة، لينعم بلقياه ويهنأ بقربه وينال ما كان يصبو إليه ويرجو، لكن المؤيَّد في تلك المرحلة عانى من أهل القصر وحاشية الإمام المكائد والدسائس التي حالت بينه وبين مبتغاه، وما كان يريد الوصول إليه. ومما قاله المؤيَّد في مدح المستنصر نجده يقوم بتكرار اسمه في قصائد مختلفة.

أجل إنه المستنصر الملاذ الآمن، مولى بيت الهدى، الهدى طبعه وسليقته، وهو أيضا صاحب الحسب والنسب، السراج الذي يضيء فيهدي الحيارى، ويخرج الناس من الضلال إلى الهدى. يقول [الخفيف][2]:

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٣٠٢.

(٢) المصدر السابق. ص٢١٠.

الإِمَامُ المُسْتَنْصِرِ العَدْلُ مَوْلَا نَا سِرَاجُ الدُّجَى النَّسِيبُ الحَسِيبُ

ومن ثم فإن الله ناصره دائمًا، رافعًا رايته فوق رايات أعدائه، مؤيَّدًا من الله بالتوفيق والسداد، يقول [الكامل](١):

اللهُ يَنْصُرُ رَايَةَ المُسْتَنْصِرِ بِاللهِ، مَوْلَانَا الإِمَامِ الأَطْهَر

ويؤكِّد الشاعر نصّ الله لإمامه (المستنصر) بالتأييد حيث يقول [الكامل](٢):

"مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ" أَيَّدَ نَصْرَهُ رَبٌّ لَهُ الإِبْلَاءُ وَالإِنْشَاءُ

فإذا كان الله المنشئ والمبلي، والمقيم والمزيل، فهو المؤيد والنصير، ومن ذا إذًا يستطيع الوقوف بوجهه أو الانتصار عليه.

بل إن المؤيَّد في القصيدة الخامسة عشرة –حسب ترتيب الديوان–، يرى (المستنصر) بما لا يراه غيره. يقول [الخفيف](٣):

الإِمَامُ المُسْتَنْصِرُ العَائِذُ، الدِّيـ نُ بِلُقْيَاهُ اخْضَرَّ العُودُ رَطْبًا

فالمستنصر هو ناصر الدين، يلوذ به الدين في لحظات ضعف المسلمين ليقوى، وإذا لقيه العود اليابس اخضرّ وأصبح رطبًا يافعًا.

بل بعد هذا البيت بأبيات يساوي في المنزلة بين المسيح عيسى عليه السلام والخليفة المستنصر بالله. يقول [الخفيف](٤):

يَا مَسِيحًا يُكَلِّم النَّاسَ طِفْلًا ضَلَّ فِي شَأْنِهِ أَخُو اللُّبِّ لُبًّا
لَسْتَ دُونَ المَسِيح، سَمَّاهُ رَبًّا أَهْلُ شِرْكٍ، وَلَا نُسَمِّيكَ رَبًّا

ففي البداية نفى المؤيَّد عن (المستنصر) الألوهية التي ادَّعاها الناس لـ (عيسى عليه السلام)، ولكنه نظر إلى أوجه متشابهة، قد يضل أصحاب العقول في الوصول إليها، فإذا كان (المسيح) كلم الناس طفلا، فكذا حوى (المستنصر) الملك والإمامة طفلا، والمسيح أحيا الموتى على الحقيقة بقدرة الله، ودليلا على مبعثه، كذا (المستنصر) أحيا بعلمه الجهلاء، وإذا كان (المسيح) قد أبرأ الأعمى فـ (المستنصر) قد هدى الناس إلى الحق وأزال غشاوة الجهل من على أعينهم.

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٢١.
(٢) المصدر السابق. ص٢٢٥.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٤١.
(٤) المصدر السابق. ص٢٤١.

ومن مفردات معجم الشاعر نداء الله تعالى والاستعانة به والاستغاثة في كل أموره وأحوال حياته، فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولم تعد لديه القدرة ولا الطاقة على مواجهة تلك المحن، ويتضح ذلك من قوله [المتقارب][١]:

إِلَهِي ضَاقَ عَلَيَّ الخِنَاقُ وَلَمْ تَبْقَ لِي طَاقَةٌ بِالمِحَنْ

ولا يلجأ الشاعر إلى الاستعانة بربه إلا لأنه يعلم أنه خالقه، ومالك أمره، وأمر كل البرية، فهو الذي بيده الضر والنفع، والرجاء في دفع الضر لا يكون إلا مِمَّنْ بيده إجراؤه على البشر. يقول [المتقارب][٢]:

إِلَهِي دَعَوتُكَ سِرًّا وَجَهْرًا أَيَا مَالِكَ المُلْكِ خَلْقًا وَأَمْرًا

ومن ثَمَّ فلا يطلب النجاة والرحمة إلا ممَّن بيده الرحمة والمغفرة، ومن يستطيع أن ينجِّي ويرحم، يقول [المتقارب][٣]:

إِلَهِي إِنِّي لَأَرْجُو النَّجَاةَ بِوَاسِعِ رَحْمَةِ وَهَّابِهَا

وكلمَّا اشتدَّت المحن وعظم البلاء والكرب، ازداد المرء تقرُّبًا من الله، ولجوءًا إليه، ودعاؤه أن يُغيِّر حاله. يقول [مجزوء الكامل المُرفَّل][٤]:

يَا رَبِّ أَشْكُو سُوءَ حَالِي أَبَدًا وَأُخْلِصُ فِي ابْتِهَالِي
كَيْمَا تَجُودَ بِنَظْرَةٍ أُكْفَى بِهَا ضَيْمَ اللَّيَالِي

وحين يحيط اليأس بالمرء وتلُّفه خيبة الأمل فإنه يلتجأ إلى ربِّه شاكيًا حاله، فيعرض ما نزل به، لعل الله أن يغير ويبدل حاله إلى حالٍ أخرى، يدفع فيها اليأس والخيبة، وتعود إليه الراحة والاطمئنان النفسي يقول [الطويل][٥]:

إِلَهِي أَحَاطَ اليَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبْ بِنَا، وَبِنَا ضَاقَتْ جَمِيعُ المَذَاهِبِ
غَدَوْنَا بِجَورِ الدَّهْرِ مَأْكَلَ آكِلٍ وَصِرْنَا بِمَسِّ الضُّرِّ مَشْرَبَ شَارِبِ

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٥٢.
(٢) المصدر السابق. ص٢٦٥.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٦٦.
(٤) المصدر السابق. ص٢٦٧.
(٥) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٣٢٣.

وإذا كان الشاعر يدين بمذهب ويساعد في نشره، فمن يخاطب إلا الأمة التي هي السند والأمان، وإذا كنت تريد أن يلتف الناس حول إمامك ووليك، فإنك تعمد إلى مخاطبة عقولهم، ولكن كيف تكون المخاطبة للإقناع.

إن خطاب الأمة ورد كثيرا في شعر الشاعر بمعجم لغوي من المفردات يظهر في مثل قوله [الرجز][١]:

يَا أُمَّةً عُقُولُهَا مَعْزُولَهْ وَهِيَ إِلَى آرَائِهَا مَوكُولَهْ

فالدُّخول إلى النَّفس والسيطرة على المشاعر والقلب تبدأ بمخاطبة العقل، فإذا اعتقد شيئًا مالت إليه العواطف والأرواح، إنه خطاب الحجاج العقلي الذي اعتمده الشاعر في مناظراته.

ويبين الشاعر للأمة أن فسادها نابع من ضعف عقلها. يقول [الرجز][٢]:

يَا أُمَّةً أَصْبَحَ غَوْرًا مَاؤُهَا وَأَمْسَكَتْ عَنْ صَوْبِهَا سَمَاؤُهَا
قَدْ انْطَوَتْ مِنَّا عَلَى الضَّغَائِنِ وَجَعَلَتْنَا عُرْضَةَ المُطَاعِنِ

فلأن عقلها قد ضعف واستخف به البعض أصبح كل فريق يحاول أن يجذب نحوه عقل بعض الأئمة، ومحاولة إذاعة مذهبه وتغليبه، فيكون البغض وتكون المشاحنة والضَّغينة، وفيه توعية لأولئك الأئمة أن يتخلصوا من عيوبهم وأن ينظروا إلى واقعهم بعقل ووعي.

ويدلِّل الشاعر للأمة على أسباب ضعفها، وسريان الضَّغينة بينها، لأنها أسلمت رأيها وعقلها وتفكيرها لجهلائها. يقول [الرجز][٣]:

يَا أُمَّةً قَدْ عَدِمَتْ تِبْيَانَهَا إِذْ جَعَلَت دَلِيلَهَا عُمْيَانَهَا

ولا يختلف الطاغية المتكبر فهو كالأعمى الجاهل، يسوق الناس أمامه بجهله خوفًا من بطشه، ورعبًا من جبروته. يقول [الرجز][٤]:

يَا أُمَّةً جَعَلَتْ طَاغُوتَهَا الحَكَمَا لَا غَرْوَ أَنْ تَجْهَلِينَ العِلْمَ وَالحِكَمَا

فإذا كان حاكمها هو طاغوتها فإن النتيجة المترتبة على حكمه الجهل والتخلُّف والانصياع والطاعة لكل ما يأمر به، صحيحا كان أم باطلا.

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص١٩٣.

(٢) المصدر السابق. ص١٩٧.

(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٠٤.

(٤) المصدر السابق. ص٣٠٧.

كل هذه المخاطبات للأمة فيها دعوة للنظر وإعمال العقل والتفكُّر فيما هي عليه، لعلَّها تفيق من غفوتها وتقوم من عثرتها، وتحتكم إلى عقل رشيد فيما يعرض عليها.

(ذِكر أسماء أنبياء الله عليهم السلام كآدم، وإبراهيم، وغيرهم):

من المفردات المعجمية في ديوان المؤيَّد ذكر أسماء أنبياء الله عليهم السلام كآدم، وإبراهيم، وداود، وعيسى، وموسى، وسليمان، ولوط، وغيرهم.

نجد الشاعر يطيل في الحديث عن النبي الذي يذكره، في محاولة تأويل ما رآه البعض عصيانًا أو وقوعًا في خطأ أو عدم اتِّباع أوامر الله، يقول [المتقارب][1]:

تَلَقَّاهُ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ... فَتَابَ وَصَادَفَ حُسْنَ المَآبِ
فَلَمَّا طَغَى المَاءُ أَجْرَى بِهِ ... سَفِينَتَهُ رَبُّهَا فِي العُبَابِ
كَمَا قِيلَ كُونِي فَكَانَتْ، سَلَامًا ... وَبَرْدًا بِهِ، النَّارُ بَعْدَ التِهَابِ
وَمِنْهُ العَصَا قَهَرَت مَنْ عَصَى ... فَلَانَتْ لِمُوسَى جَمِيعُ الصِّعَابِ
وَشُدَّ بِهِ لِسُلَيْمَانَ مُلْكٌ ... وَأُوتِيَ دَاوُدُ فَصْلَ الخِطَابِ

ففي الأبيات أجزاء من قصص بعض أنبياء الله عرض لها المؤيَّد في شعره، لأنه أراد أن يؤكد بها لأصحاب المذهب الفاطمي أن النبي محمد هو النبي الخاتم، وقد جمعت إليه جميع النبوات السابقة، وأن جميع شرائع الأنبياء قد اجتمعت في شريعته.

وفي موضع آخر يعاود ذكر الأنبياء بصفاتهم التي عُرِفُوا بها. يقول [الخفيف][2]:

بِكُمُ، آدَمُ اسْتَجَارَ بَدِيًّا ... وَاسْتَفَادَ الفَخَارَ نُوحٌ وَسَامُ
وَكَلِيمُ الإِلَهِ بَعْدَ خَلِيلٍ ... وَمَسِيحٌ قُوَّامُهُ الصَّوَّامُ
وَيُبَاهِي النَّبِيُّ جَدَّكُمُ الطُّهْـ ... ـرُ الهُمَامُ المُؤَيَّدُ القَمْقَامُ

لقد أكثر المؤيَّد من ذكر الأنبياء السابقين في معجمه الشعري، فما الهدف من وراء هذا الذِّكر؟ يقول [المنسرح][3]:

---

(١) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٣١.
عُبابُ الماءِ: أَوَّله ومُعْظَمُه، ويقال: جاؤوا بعُبابهِم أَي جاؤوا بأَجمعهم.
(٢) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٣٤.
القَمْقَامُ: السيد الجامعُ للسيادة الواسعُ الخير.
(٣) المؤيَّد في الدِّين: الدِّيوان. ص٢٤٩.

يَا لَوْحَ دِينِ الهُدَى وَيَا قَلَمَا نَاسَبَ لَوْحَ الإِلَهِ وَالقَلَمَا
وَمَنْ تَلَقَّاهُ آدَمٌ فَنَجَا إِنَّكَ قَدْ كُنْتَ ذَلِكَ الكَلِمَا
وَفُلْكُ نُوحٍ جَرَتْ كَذَاكَ بِهِ فِي المَاءِ وَالمَاءُ قَدْ طَغَا وَطَمَا
كَمَا أَتَى البَرْدُ والسَّلامُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ لِلخَلِيلِ إِذْ سَلِمَا
وِبِاسْمِهِ اليَمُّ صَارَ مُنْفَلِقًا فَجَازَ مُوسَى وَمَنْ بِهِ اعْتَصَمَا
وَعَيْنُ دَاودَ إِذْ تُلَاحِظُهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا إِذَا حَكَمَا
وَالرُّوحُ مِنْ رُوحِهِ بَدَا فَغَدَا عِلْمًا لِيَوْمِ النُّشُورِ أَوْ عَلَمَا
خَاتَمُ مَجْد الذِي بِمَبْعَثِهِ بَعْثَ النَّبِيينَ رَبُّهُمْ خَتَمَا

فالمؤيَّد في ذكره لأسماء الأنبياء كان يقصد إلى مقابلة دور النبي بدور كل من سبقه من الأنبياء، وأن هذا النور الذي خلقه الله قبل خلق البشر، وهو نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما زال من نبي إلى نبي حتى وصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا النور بالوصي والوصي، فهم خلق رسول الله وامتداده في دعوته وتبليغ رسالته.

وأخيرًا من المواضع المتعدِّدة التي ذكر فيها أسماء الأنبياء يقول [المتقارب][1]:

سَلامٌ عَلَى العِتْرَةِ الطَّاهِرَه وَأَهْلًا بِأَنْوَارِهَا الزَّاهِرَه
سَلامٌ بَدِيًّا عَلَى آدَم أَبِي الخَلْق بَادِيهِ وَالحَاضِرَه
سَلامٌ عَلَى مَنْ بِطُوفَانِهِ أُدِيرَتْ عَلَى مَنْ بَغَى الدَّائِرَه
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَاهُ السَّلام غَدَاةَ أَحَفَّتْ بِهِ النَّائِرَه
سَلَامٌ عَلَى قَاهِرٍ بِالعَصَى عُصَاةً فَرَاعِنَةً جَائِرَه
سَلَامٌ عَلَى الرُّوحِ عِيسَى الذِي بِمَبْعَثِهِ شَرُفَتْ نَاصِرَه
سَلامٌ عَلَى المُصْطَفَى أَحْمَد وَلِيِّ الشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَه
سَلَامٌ عَلَى المُرْتَضَى حَيْدَر وَأَبْنَائِهِ الأَنْجُمِ الزَّاهِرَه
سَلَامٌ عَلَيْكَ فَمَحْصُولُهُم لَدَيْكَ أَيَا صَاحِبَ القَاهِرَه

فإذا كان هدف المؤيَّد دفع الشبهات التي درات في أذهان بعض الناس حول عصمة الأنبياء، لفهمهم الخطأ، وأخذ كلام القرآن على ظاهره دون محاولة تأويله على نحو ما فعل المؤيَّد وغيره، فإنه قصد أيضا كما قصد غيره نظرية (النُّور المحمديّ)، التي تجعل جميع الأنبياء من آدم إلى محمد شخصية واحدة، غير أن عقيدة الشيعة ترى أن هذا (النُّور المحمدي) قد انتقل بعد النبي إلى ورثته على نحو ما نلحظ في تلك القصيدة.

(١) المصدر السابق. ص٢٨٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ومنِّه وكرمه تتنزل الرحمات، وبعد.

فبعد هذا التطواف في ظلال شعر المؤيَّد في الدين الشيرازي، قد أفضى البحث إلى عِدَّة نتائج يمكن ذِكْرها فيما يلي:

- حَرِصَ الشَّاعر على تَنَوُّع لُغتهِ الشِّعرِيَّة التي أظهرَت مدى ثقافته وثراء لغته.
- التَّوجُّه الدِّيني والتَّشيُّع لأهل البيت كان ظاهرًا بشكلٍ كبير في شِعر المؤيَّد، حتى إنَّ استنباطات الشاعر معظمها من القرآن الكريم جاءت موظَّفة لخدمة الغاية التي وَقَفَ نفسه من أجلها، إلى درجةٍ تصل به كثيراً بأن يلوي عنق النص، فيفسِّرَه ويقول فيه وِفْقًا لِهَوَاه، وقد يخالف آراء المفسرين، ورؤية الإجماع، وذلك كله في سبيل خدمة دعوته وفكرته، وهي ليست أمرًا جديدًا، وليست بِدْعًا من الفِعل، فِي كل من يطمح إلى شيء ويسعى إلى غايَة، يُوظِّف كلَّ ما لديهِ في سبيل تحقيق هذه الغاية، فهدفُه هو الوصول إلى مسعاه.
- ثقافة الشَّاعِر وعلومه المختلفة ظهر صداها جلِيًّا في ديوانه، فقد كان سجلًّا حافِلًا لكثيرٍ من العُلُوم والمعارف التي تميّز بها المؤيَّد.
- يظهر في شِعر المُؤيَّد صدق الحنين لموطنه الذي نشأ بسبب تغرُّبِهِ عنه، وما جاء في ذلك من شِعر الشَّكوى والغُرْبَة التي تَجَلَّت فيها صورة الحياة القاسية، وما يلاقيه من ظُلْمٍ وجَوْر.
- ضمَّن الشَّاعر عددًا من الكلمات الأعجميَّة نابعةً من لغته الأم (الفارسيَّة) في ثنايا شِعرِهِ.
- الدِّيوان حافلٌ بالصُّور المستمدَّة من القرآن الكريم، وهو ما يعكس الخلفية الدِّينيَّة للمؤيَّد، حتى وإن أخذ في تفسيرها ما يخدُمُ دعوته ومعتقده.

كانت تلكَ أبرز النَّتَائج التي تمَّ استخلاصُها من خلال بحث ودراسة المعجم الشعري في شِعر (المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة الشِّيرازيّ)، وفي الختام أسأل الله جلَّ وعلَا أن يهدِيَنا سواء السَّبيل.. هذا وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المراجع

١. أحمد بسام الساعي: حركة الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٩٧٨م.

٢. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مطبعة عالم القاهرة، القاهرة، ط الثالثة، ١٩٩١م.

٣. الزِّرِكلي (ت: ١٣٩٦هـ)، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٤. شكري محمد عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

٥. العرجي: ديوان العرجي، شرح وتحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ط الأولى، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.

٦. غسَّان بركات: الفكر السياسي والاجتماعي للمؤيد في الدين الشيرازي، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٠١٢)، العدد (١١٧–١١٨)، ٣٠ يونيو ٢٠١٢م

٧. فيرينا كليم: مذكرات رسالة (العالم ورجل الدولة والشاعر المؤيَّد في الدِّين الشِّيرازي)، تحقيق وترجمة: شارل شهوان، دار الساقي للطباعة والنَّشر، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٥م.

٨. محمد صلاح أبو حميدة: الخطاب الشعري عند محمود درويش – دراسة أسلوبية، ط الأولى، غزَّة، ٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ.

٩. محمد كامل حسين: سيرة المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة ترجمة حياته بقلمهِ، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط الأولى، أكتوبر ١٩٤٩م.

١٠. محمد مندور: في الميزان الجديد، ط دار نهضة مصر للطباعة، ط الأولى، ٢٠٠٤ م.

١١. المؤيَّد في الدِّين الشِّيرازي (ت:٤٧٠هـ):

- المجالس المؤيَّدية، تلخيص: حاتم بن إبراهيم، تحقيق: محمد عبد القادر عبد الناصر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ديوان المؤيَّد في الدِّين داعي الدُّعاة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط الأولى، ١٩٤٩م.

١٢. يوري لوتمان: تحليل النص الشعري "بنية القصيدة"، ترجمة وتقديم: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

الفهـــــرس

المقدمة ٤٢٧
تمهيد: التعريف بالشاعر (المؤيَّد في الديّن): ٤٢٩
المعجم الشعري الخاص بالمؤيد في الدين (داعي الدعاة) ٤٣٢
(الحديث عن العقيدة الفاطمية) ٤٣٤
(ذِكر اسمه أو لقبه أو كنيته) ٤٣٨
(الألفاظ الفارسيَّة) ٤٣٩
(رغد العيش واعتزازه بشيعيته) ٤٤٠
(الغربة والاغتراب) ٤٤٢
(الشَّكوى والاضطهاد والنُّفور) ٤٤٧
(مديح الإمام المستنصر بالله) ٤٥١
(ذِكر أسماء أنبياء الله عليهم السلام كآدم، وإبراهيم، وغيرهم) ٤٥٥
الخاتمة ٤٥٧
المراجع ٤٥٨
الفهرس ٤٥٩